المشرق

معرض الرسالات الكاثوليكية في الفاتيكان

بقلم الاديب يوسف افندي المدوَّر

ان في اوائل شهر تموز المنصرم قد اتاح الله لي الحظَّ بان اكون في جملة الزوَّار الذين أمُّوا رومة العظمى من مصر للتبرُّك بلثم راحتي الاب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر وللقيام بالزيارات اليوبيلية في هذه السنة المقدَّسة ١٩٢٥ . فحصلنا على مبتغانا من ذلك السفر السعيد من حيث المثول بحضرة قداسة البابا في مقابلة خاصَّة جاد بها قداسته وقد مكثنا في حضرته نسمع دُرر الفاظهِ ونمتّع اللحاظ بمشاهدة نائب السيد المسيح خمساً وثلاثين دقيقة

وقد احتُفي بالزوار المصريين كلَّ الحفاوة اينما ذهبوا وحيثما حلُّوا كما جاء في رسائل نُشرت في بعض اعداد جريدة البشير الغرَّاء من هذا الصيف الماضي . وقد كان من بين الاماكن والمزارات الشهيرة التي أمَّها الزوَّار معرض الرسالات الكاثوليكية الواقع في جانب من حدائق الفاتيكان . ولمَّا رأيتُ انَّ بزيارة واحدة لا يمكن للزائر ان يقف على كل ما هناك من المعروضات ذات الاهميَّة ولا يُتاح لهُ ان يُمعن النظر في تلك التحف القيِّمة التي أُتي بها من اربعة اقطار المعمور لتُعرَض على الملأ اجمع وهي ألسنة مخبرة عن اعمال الرسالات الكاثوليكية في العالم اخذتُ اغتنم كل فرصة تسنح فأؤمُّ المعرض وامتّع النظر بما يكون قد فاتَني مشاهدته في المرَّة السابقة حتى ألممتُ ببعض الالمام بما اجتمع هنالك من معروضات فنية وعلمية وتاريخيَّة ودينيَّة الخ

وقد احببت ان اشغل بعض اوقات الفراغ بتدوين ما رأت عيناي في ذلك المعرض

الفخيم وما كان لـهُ من التأثير على الذهن لأقدمهُ لحضرات قرّاء المشرق الكرام فيطّلعون بعض الاطلاع على ما هي عليه احوال الرسالات الكاثوليكية من الانتشار وما يؤدّيه رجالها المرسلون من الخدم لاسيما بين اجناس البشر المتوحّشين غير مبتغين من اعمالهم سوى خير القريب وخلاص النفوس ومجد الله الاعظم

فهلمَّ معي ايها القارئ الكريم نخرج من ساحة كنيسة مار بطرس الى الجنوب فنمرَّ اوّلًا تحت قنطرة فوقهـا ممرٌّ يؤدّي من الكنيسة الى خزانتهـا الكبرى (السكرستيا) ثم نـدور حول الكنيسة متَّجهين غرباً فشمالًا ، نتصل الى طريق يمتدُّ طولًا مسافة تقرب من ٦٠٠ الى ٧٠٠ متر ، فنرى عن يميننا باباً عظيماً وقف عليهِ الحرس البابوي ذو الملابس الرائعة وقد انتضى كلٌّ منهم رمحه . فذاك أحد مداخل الفاتيكان المؤدّي الى متحف الصور (Pinacothèque) . امّا نحن فنتعدّاه ونسير توًّا فيؤدّي بنا السير الى غرفة قائمة يسار الماشي ، هي غرفة تودَع فيها امتعة للزوّار وبعدها غرفة أخرى ذات مدخل ومخرج جلسَت فيها بعض الراهبات المرتديات ملابس بثوب ذي لون كحلي ، وقـد أُنيط بهنَّ قبض رسم الـدخول الى المعرض واعطاء التذاكر

طوابع بريد المعرض الفاتيكاني

في هذه الغرفة تُباع ايضاً طوابع البريد التي عُملت للسنة المقدّسة وهي ستـة اصناف زاهية الالوان جميلة الشكل . ١ً) الطابع ذو الخمس ليرات ايطالية بنفسجي اللون بإطار برتقاليّ عليهِ رسم البابا عنـد دخوله الباب المقدَّس ومن ورائه موكب الكرادلة . ٢ً) طابع الليرة الواحدة بنفسجي اللون ايضاً لكن اطاره أزرق وقد رُسِم عليهِ البابا بيده المطرقة واقفاً امام الباب المقدَّس ليفتحه ومن حوله الكرادلة . ٣ً) صنف الستين سنتيماً يمثِّل كاتدرائية مـار بطرس بلون بنّي قاتم ودائر احمر . ٤ً) ذو الخمسين سنتيماً لونهُ بنّي فاتح باطار بنفسجي وقد رُسم عليهِ كنيسة مار بولس البديعة . ٥ً) طابع الثلاثين سنتيماً عليه صورة مار يوحنا اللاتراني كله باللون البني إلّا انَّ الدائرة أشدّ قتمة من داخل الطابع . ٦ً) امّا طابع العشرين سنتيماً فعليـهِ صورة كنيسة مريم الكبرى باللون القرفي وإطار اخضر . وكل هذه الطوابع تباع

بزيادة خمسين في المائة عن سعر الطوابع الايطالية وترى الناس متألبين لشراء هذه طوابع السنة المقدّسة فمنهم من يستعملها على مراسلاته ومنهم من يحفظها تذكاراً

ها قد دفعنا رسم الدخول وقدره خمس ليرات ايطالية رسماً كاملاً وليرتين فقط لمن يحمل تذكرة الزيارة اليوبيلية فهلمَّ نواصل سيرنا بضعة امتار لنبلغ الى مدخل المعرض وهو نفسه مدخل المتحف الفاتيكاني . فالى هذا يمشي الزائر يميناً امّا نحن فنتّجه الى المعرض يساراً واوّل ما يقع عليه نظرنا لوحة معلّقة كُتب عليها : قسم مكافحة الامراض السارية . فلندخلنَّ ها نحن في اوّل غرفة من المعرض فيها نشاهد تأثيرات الحمى الصفراء والجذام والتيفوس

ثم نتقدّم الى الغرفة الثانية فاذا هي حافلة بالتآليف القديمة لمكافحة الحميات مع مجموعة كبيرة من كتب عصريّة الّفها المرسلون في الموضوع نفسه وهنا يقع النظر على فخذٍ وقدمٍ أُصيبا بالمرض الفيلي وهو نوع من الجذام يجعل الجلد جاسياً متقلصاً كجلد الفيل . ونُشاهد ايضاً امثلة من اذرع وسيقان من شمع تمثّل الامراض الجلديّة المنتشرة ما بين السودانيّين : حبوب وقروح ناخرة حتى العظم ورسوم تمثل الانسان الابيض وقد علا جسمَهُ بزورٌ حمراء لا تلبث ان تتحوّل الى قروح شنعاء . واذ نشعر باشمئزاز من هذه المناظر فلننتقل الى غرفة ثالثة فنجد انفسنا امام محفوظات من ديدان وذباب وقمل وحشرات أُخَرَ ممّا لهُ خاصية نقل الامراض وهنا نرى المكروبات مجسّمة ومكبّرة وبجانبها زجاجات محفوظ فيها انواع ديدان الامعاء . وفي جهة من هذه الغرفة يقع النظر على بعض اجزاء الجسم ممثّلة بالشمع ايضاً وقد أُصيبت بالحب الافرنجي فيُرى مفعول هذا الداء الوبيل قبل معالجته بالسالفرسات وكيف يبرأ المصاب وما يبقى على جسمه من آثار المرض بعد المعالجة بالدواء المذكور . والى جانب هذه الامثلة نرى امثلة لاطفال أُصيبوا بالمرض من والديهم وتمثّل لنا كيفيّة اتصال الداء بالامعاء.

وان تقدّمنا الى غرفة اخرى وجدنا فيها انواعاً من الثعابين والحيات مدونة بأوعية زجاجية ثم يبلغ بنا السير الى قاعة الادوات الجراحية ومختلف العلاجات التي تُستعمل لهذه الامراض . وفي هذه الغرفة صندوق زجاجيّ عرضه ذراعان وطوله نحو ثلاثة اذرع وارتفاعه ما يقلّ عن الذراع قليلاً . في داخله تمثيل واحةٍ انتشر فيها

المرساون ما بين الزنوج يعالجون المرضى ويعلّمون الصغار ويوزّعون القوت . والى جانب من هذا المثّل صورة تبين لون الجسم بعد الاصابة بالهواء الاصفر فيمسي قاتماً مزرقّاً محمرّاً . وبعد هذا نصل الى غرفة عُرض فيها أمثلة من البراغيث وبينها البرغوث الناقل للطاعون يعلو جسمه وَبَر يجمل شكله وهو مكبَّر كشكل القنفذ . وهنا ايضاً امثلة من الجرذان الناقلة للطاعون ثم الجُدَري بنوعيه الاصفر والاسود وهذا قد تكون نتيجتهُ العمى وتشويه الوجه والجسم مما يقشعرّ لمرآه البدن

وبعد هذا نبلغ الى غرفة الامراض السارية في المستعمرات الايطالية وفيها ايضاً نماذج من ضروب النبات الذي يستخرج منه المرسلون ادوية العلاج لتلك الادواء . ثم نتقدم فنبلغ الى غرفة امراض الاطفال فنشاهد فيها تماثيل اطفال تغطّت اجسامهم بانواع القروح واصيبت اعينهم بالرمد الصديدي . وهنا يقع النظر على تماثيل مرضى أصيبوا بالبرص فمن ارجُل وايدي نخرها الداء الى اوجُه مشوَّهة واصابع مبتورة . وبينهم مرسلون اتصلت اليهم العدوى وبدأ الداء ينخر اجسامهم فنشعر اذ ذاك بقشعريرة ونفور من هذه المناظر . فنخرج علّنا نشاهد ما هو اقلّ ارعاباً فندخل الى غرف امراض السكَّر والزلال والسلّ بانواعه وهنا نرى يدًا قد قبضت على عنق ثعبان فخنقتهُ وقد كُتب تحتها : يجب غلبة السلّ كما يجب قتل الافعى القتالة . ومجموع غرف هذا القسم ١٦ غرفة وقاعة قد عُرض فيها جميع صنوف الاوبئة والامراض التي يعرّض المرسلون انفسهم لاخطارها في اداءهم الخدم الروحية والزمنية للمصابين بها وفي قيامهم بالواجب الذي انتدبوا انفسهم لادائه

قسم افريقية

واذ انتهينا من قسم الامراض فلنخرج ونتجه يميننا فنبلغ الى قسم افريقية فنرى امامنا سوقاً تمتدّ يمناً ويساراً فاذا هو اولاً معرض « مرسلي الروح القدس » في افريقيا الوسطى قد عُرض فيه منسوجات هاتيك البلاد واشكال احذية وملابس واعمال نجارة وحدادة وآثار قديمة . ثم معرض « الكونغو البلجيكي » ومن معروضاته ملابس وامتعة بيتيّة وطنيّة حراب تروس اثمار جافّة نبات الفول السوداني والدخن والقطن ثم سن الفيل الخام (غير المصنوع) وهناك تماسيح وعصي

وقبضات ومسابح صنعت كلها من سن الفيل

ومن هنا نتقدم الى ❖ معرض اليسوعيين ❖ جنوبي افريقية فنشاهد فيه ريش النعام والتماسيح والحيّات المصبَّرة ونماذج البيوت المبنيّة من قش واشغال يدوية وتطريز نحيف وكلها من صنيع تلاميذ مدارس المرسلين وجلود حيوانات غريبة

ثم نواصل السير فنقف على معروضات الآباء ❖ البندكتيّين وكهنة القلب الاقدس وآباء سيدة الحبل بلا دنس ❖ فنرى في اعالي هذه الامكنة رسوم الرؤساء العامّين على هذه الجمعيات ورؤساء الرسالات ومنهم اساقفة كسيادة المطران انطونيو استيپاني النائب الرسولي في اقليم بحر الغزال من اعالي السودان والمنسيور ڤنياتو المدبر الرسولي في الاوغنده وقد نلتُ شرف المعرفة بهذين السيدين وهما يُحسنان العربية كاحد ابنائها . ومن بين معروضات هذه الاقسام ممّا يستوقف النظر انواع السلاح الابيض لزنوج تلك البلاد ومنسوجات مرصّعة بالخرز الملوّن وبينها سنّ فيل طولهُ متران ثم تمثيل الالعاب الوطنيّة والرقص السوداني

ثم نتقدم واذا نحن في القطر المصري امام معروضات ❖ السالزيان والآباء الافريقيين الليونيّين ❖ فنشاهد الاحذية الصفراء المصرية التي يسميها الوطنيّون «بالبلغة» وغيرها من مصنوعات مصر ورسوم يدوية زيتيّة وقد رُفع بينها رسم زيارة جلالة الملك فؤاد الى مدرسة السالزيان بالاسكندرية . ومرسلو افريقيا الليونيون قد عرضوا رسوم مراكزهم وكنائسهم التي في الدلتا المصرية وما لراهباتهم الملقبات براهبات سلطانة الرسل من المدارس والملاجئ وقد ضمّوا الى معروضاتهم المصرية آثار من ليبريا ونواحي نيجر كامتعة منزلية واشغال يدوية من سُبح وصلبان ودمى من العاج

وبعد ان ننتهي من هذا الحي ننتقل الى حي آخر فاذا نحن ما زلنا في افريقيا . الّا اننا نشاهد امامنا معروضات ❖ اليسوعيّين في مداغسكار ❖ هنا امثلة من مساكن الوطنيّين وامتعتهم المنزلية ، آلات موسيقيّة ، منسوجات حريرية ، اشغال نسائيّة نحيفة ، طيور وتماسيح ووحوش محنّطة قطع معدنية واحجار كريمة ، انواع الخشب والحجارة الملونة ؛ الذره السوداء والبن ؛ نموذج من كيفية عقص شعور النساء

ثم يستلفت نظرنا في قسم ❖ البندكتيّين ❖ مشهد مقتل المطران النائب الرسولي

الاول مع اخوين وراهبتين بيد الزنوج المتوحشين في ١٤ اب سنة ١٩٠٥

ومن بعد هذا نمرّ امام معروضات ﴿الكبوشيين في دار السلام والآباء البيض ورهبان الثالوث الاقدس والفرنسيسكان في ليبيا ومصر والحبشة والاريتريا﴾ وكل هذه المعروضات على نمط واحد بوجه التقريب من مصنوعات يدوية واسلحة وملابس وطنيّة ورسوم وآلات موسيقيّة الخ. وبعدها نبلغ الى معرض ﴿اليسوعيّين في مصر﴾ فنرى فيه رسم مدرسة العائلة المقدسة ورسم قدماء التلامذة وقد كان من جملة الزوّار المصريين عدد من اولئك التلامذة فسرّوا كثيراً لدى مشاهدتهم صورهم معروضة في هذا المعرض الفخم

قسم آسية

واذا انتهينا من هذه الاقسام فلنتقدم قليلًا واذا نحن في العراق في معرض ﴿الآباء الكرمليّين﴾ فنرى الزوار متكاً كثين يزدحمون لمشاهدة تماثيل كبيرة تمثّل انواع الملابس في ما بين النهرين والعادات القوميـة كقرى الضيف والتدخين بالنارجيلة والالعاب كالمنقلة والداما. وفيه يشاهد ايضاً تماثيل النساء يهتممن بامور بيوتهنّ وتربية اولادهنّ وبينهنّ من يرتّدين الحَبَرات فواحدة تهيّئ الطعام واخرى تربط طفلها في سريره لتنيمه. فالواقف امام هذه المشاهد يخال نفسه في بيت من بيوت سوريا وعلى منضدة في هذا البيت مراوح من ورق النخل. وقد نُسجت بحيث يُقرأ في نسيجها بالعربية: يحيى قداسة البابا. ثم التجـارة وطريقة وضع البضـاعة في الحوانيت. ثم الصناعة: النسج، الخرط، الخياطة، الاكل في المطاعم الوطنية. ثم مثال من الحياة في الفلاة والمعيشة البـدوية في الخباء. هنالك «جاروش» وامرأة بدوية جالسة تجرش البرغل. الحراثة بالادوات الوطنية وغزل الصوف ونسج القطن الخ

فاذا خرجنا من معرض العراق ندخل في ﴿قسم الهند والهند الصينيّة واليابان﴾ وهنا نرى مصنوعات مدارس المرسلين على مختلف اجناسهم: ازهار لتزيين الكنائس صُنعت من صدَف اللؤلؤ وصفحات لؤلؤية عليها رسم قداسة البابا شريط احمر كُتب عليه بقطع صدفية: السنة المقدسة بيوس الحادي عشر بالايطالية والافرنسية. باقة ازهار صناعية محيطها ٤ امتار وقد قام بصنعها ١٠٥ تلاميذ ورفعوها تقدمة للاب

الاقدس في معرض هذه السنة . وفي معروضات رسالة الآباء الفرنسيين نشاهد ما بين الامثلة للعادات القومية في الصين النساء يقصصن شعورهن بشكل لطيف يستحسن فلا تملك أن تهتف معي: ربي اسألك ألا تسمح بان تتصل بهن موضة قص الشعر. وما بين معروضات اليابان بدلة قداس نفيسة بيضاء اللون مع توابعها صنعتها نساء الاتحاد الكاثوليكي الياباني تقدمة لقداسة البابا

قسم اميركا واوقيانية

ثم ننتقل الى قسم جزائر الفيليبين فنجد من جملة التحف التي عرضها «المرسلون اليسوعيون» مائدة مستديرة من الخشب الاحمر قطرها متران و ٧ سانتيمترات وهي قطعة واحدة مع ارجلها الاربع — ومن هنا نبلغ الى قسم «الكبوشيين من بورنيو (Borneo) ومرسلي الكلمة الالهية في ستيل (Steyl)» ففي هذا القسم يستوقف نظرنا انواع الفراش المختلفة الالوان الزاهية وهي كبيرة الحجم بينها فراش دود الحرير بحجم الوطواط ودودته طول الاصبع السبابة وثخانته فلا يتمالك الناظر الى هذه الحشرات والهوام الظريفة ان يهتف بتسبيح الخالق العظيم

ثم يؤدي بنا المسير الى الموقف الاخير من هذا القسم وهو معرض «الآباء المريميين» وهنا نرى شهيدين مؤثرين يلمكان شواعرنا ألا وهما صورة استشهاد الاسقف ايبال بيد الكتنيين وصورة مقتل كاهنين وأخ بيد هؤلاء ايضاً وهم يشوونهم ويأكلون لحومهم . وبجنب هذا الموقف موقف آخر ليس باقل منه قيمة ألا وهو معرض «رسالة القلبين الاقدسين» في مولوكاي: تمثيل مستشفى البرص للاولاد فيه يشاهد احد الآباء وهو الذي اشتهر بالاب داميان مصاباً بالبرص ممدداً على سرير الموت

واذ نكون قد انتهينا من هذا الجانح وقد تعبت اقدامنا وشعرنا بشيء من الضيق فنميل الى الراحة فنخرج واذا نحن في باحة متسعة تظللها الاشجار الباسقة فرشت ارضها بالحصى البيضاء وقد وضع في جوانبها مقاعد للاستراحة وهي تشرف على حدائق الفاتيكان حيث يتنزه قداسته في الساعة الخامسة من مساء كل يوم . والى جانب من هذه الباحة مقهى يجد فيه الزائرون مع القهوة كل انواع المشروبات والمرطبات باسعار متناسبة مع اهمية المكان

وفي ساحة المعرض ثلاثة اجراس حديديَّة قديمة قد علاها الصدا اثنان منها خارقان في الكبر والثالث صغير عليها رسوم صينية وثنية وقد حصل عليها المرسلون بطريق الشراء

قسم فلسطين وسورية

ها قد اخذنا قسماً من الراحة وعادت الينا قوانا فهاجت بنا عاطفة الشوق الى مشاهدة ما بقي من المعرض . فلنتقدَّم شرقاً فنبلغ الى الجانح الثاني من المعرض وهو على محاذاة المتحف الفاتيكاني . فاوَّل ما يقع عليه نظرنا ومتى دخلنا اسم « الارض المقدَّسة » فليتصوَّر القارئ الكريم ما امكنه التصوُّر ايَّ شعور واية عاطفة يستوليان علينا لدى قراءتنا اسم بلادنا ومشاهدتنا لآثارها وتماثيلها . ففي الغرفة الاولى « لرهبان الارض المقدَّسة » شاهدنا في ارض الغرفة خارطة فلسطين مجسَّمة بثلاثة امتار طولاً ومترين ونصف المتر عرضاً على وجه التقريب تبتدئ من بيروت شمالاً الى حدود غزَّة جنوباً يعلوها لبنان وقمة صنين وجبل الشيخ يتخلَّلها غوطة دمشق والبحر الميت والاردن ثم القدس وبيت لحم وغيرهما من مدن فلسطين الكبرى وما بين مجموعة بيوت القدس يميز الناظر قبَّتي كنيسة القبر المقدس. وقد وقف حذاء هذه الخارطة قسيس فرنسيسي يحسن اللغات العربية والافرنسية والايطالية والانكليزية وهو اورشليمي الاصل وبيده هراوة طويلة يشرح للزوَّار مقامات هذه الخارطة مشيراً اليها بهراوته . والى الدائر على مناضد متفرّقة نماذج الكنائس الكبرى ككنيسة القديسة هيلانة في بيت لحم وكنيسة القيامة في القدس والكنيسة الجديدة التي بُنيت مؤخرًا في بستان الجسمانيَّة والجامع الاقصى وكلها صُنعت من رقاق الخشب تمثّل تلك الكنائس داخلاً وخارجاً أتمَّ تمثيل . والى الجدران خزانات تحوي انواع الملابس الوطنيَّة للرجال والنساء من سراويل الجوخ والغنابيز الحريريَّة والكوفيات وعقالاتها والعمائم وغيرها من الملابس التي حلَّت اليوم محلَّها الثياب الافرنجيَّة

وهنا بعض الاقمشة من نسيج الزوق ودمشق

الغرفة الثانية للآباء الفرنسيسيين ايضاً : مخطوطات وكتب قديمة ورسائل بين سلاطين وملوك شرقيين وبعض بطاركة وباباوات بالسريانيَّة والارمنيَّة والعربيَّة

والمنغولية والصينيَّة وكثير غيرها من الشرقين الاقصى والادنى . ومما يستلفت النظر بينها رسالة بالكرشوني • من يوحنا الحصروني رئيس كهنة حلب ووكيل البطريرك اسطفانوس (الدويهي) الى الاب المكرَّم والحبر المفخم الرئيس فيلكس الكرملتاني، تاريخها ١٩ ت٢ سنة ١٦٧٨ وهي مسهبة النص دقيقة الحروف فلم يسعنا الوقت لمطالعتها. ثم رسالة اخرى بالكرشوني ايضاً• من البطريرك اغناطيوس اندراوس بطريرك السريان الى رئيس الكرمليين المطاع» ١٦٧٣ . هذا خلا ما هناك من رسوم الاديار والكنائس التي انشأها ابناء مار فرنسيس في فلسطين والآثار الدينية التي قاموا على حراستها

الغرفة الثالثة في اعلى الجدران صور استشهاد المرسلين بيد الاتراك وهي ألسِنة ناطقة بما كان ينال اولئك رُسل الرحمة من التعذيب كالحرق وبَتْر الايدي والصلب وضرب الاعناق بالفؤوس . وفي خزائن على اسفل الجدران وفي وسط الغرفة جُمعت ملابس اولئك الشهداء وآنية التقديس التي كانوا يستعملونها مع بعض رسائل كانوا قد تبادلوها مع رؤسائهم واخوانهم

الغرفة الرابعة — عُرض فيها امثلة من اجناس البشر التي هاجرت الى الاوقيانوسية مع تواريخ هجرتهم وعددهم في اوَّل عهدهم

الغرفة الخامسة — فيها ❊ المكبوشيين واليسوعيين ورهبان الفادي والمريميين ورهبان سيدة الحبل بلا دنس والفرنسيسيين من اميركا وكندا والفيلبين ❊ نماذج مصنوعات وتحف وملابس ومنسوجات وحيوانات مصبَّرة وآثار وتماثيل اصناف البشر الذين يبشرونهم بالانجيل ما لا يحيط به وصف واصف

الغرفة السادسة — هي معرض الخرائط الجغرافيَّة منها ما هي مجسَّمة ومنها ما هي مرسومة رسماً تدلّ المتأمل على انتشار المرسلين في العالم بين جميع اجناس البشر وهنا ننتهي من هذا الجناح فنسير يسارنا في ممشى متسع يؤدّي بنا الى الجناح الآخر

ففي المدخل معروضات تختص ❊ بالآباء الدومنيكان ❊ ومن بعدهم غرفة كبرى فيها تحف خاصة ❊ بالساليزيان والكبوشيين والفرنسيسيين ❊ ايضاً وفي وسط هذه الغرفة تمثال عظيم المكرَّم دون يوحنا بوسكو صاحب جمعيَّة الساليزيان وحوله الاولاد يلتمسون الإغاثة . وهنا تمثيل قرية انتشرت فيها راهبات سيّدة المعونة يعلّمنَ ويهذّبنَ ويزرعنَ بذور الكلمة الالهية ويوزعنَ الصدقات والملاجات وعلى رف عال

يرى الزائر افعى هائلة مصبّرة محيط جسمها ٧٠ سنتيمتراً والى جانبها اصناف الوحوش الاميركية وبعض السلاحف الضخمة يحفظها التحنيط ثمّ قطعاً معدنية غشيمة ذات الوان زاهية وانواع الذرة العجيبة الحجم واللون ومنها نوعٌ اسود اللون ثم اصناف الاسلحة النارية والبيضاء والقوس والسهم التي يستعملها سكان هاتيك البلاد القاصية ثم الرسوم اليدويّة من صنع تلامذة مدرسة الساليزيان وامثلة من خطوطهم الافرنجيّة ودفاتر فروضهم واشغال البنات التطريزيّة . وبينا نحن منهمكون بامعان النظر بما امامنا اذا بنا نلتفت الى الوراء فنرى قبيلة من الحُمر رجالاً ونساء جلس بينهم كاهن فرنسيي يعلمهم التعليم المسيحي وقد اراهم الصليب ففغر احدهم فاه إمّا اندهاشاً وأمّا اعجاباً

واذ ننتقل من هذا القسم نبلغ الى وطننا المحبوب « سوريا ولبنان » . ها نحن امام معروضات « راهبات القديس يوسف وراهبات الناصرة » فنشاهد فيها رسوماً وتصاوير وتخاريم وتطريزات وملابس وطنية للاطفال . ثم نتقدَّم الى حيث نرى كتباً مفتوحة من سريانيَّة وعربيَّة وافرنجيَّة وارمنيَّة الخ واذا بها مطبوعات المطبعة الكاثوليكيَّة « للآباء اليسوعيين في بيروت » يعلوها رسم كليَّة القدّيس يوسف وبجانبها الشعار البابوي مطرزاً بخيوط الذهب والفضة بانامل « راهبات القلبين الاقدسين » . وهنا رسوم اخرى لابناء الاخويَّات التي بادارة اليسوعيين وصور اديار عديدة كدير غزير وزحلة وبكفيا وغيرها ولاسيما صور المكتب الطبي الفرنسوي

وبينا نحن منشغفون بمشاهدة بعض آثار تذكرنا الوطن المحبوب اذا بنا نرى جمعاً من الزائرين تألبوا حول صورة وعلى وجوه بعضهم امارات الدهشة والنفور واذا هي صورة « لبنان في حالة حبور » كما كُتب تحتها . لان تلك الصورة تمثل شبان اللبنانيين يرتدون الملابس العربيَّة والوطنيَّة والمسدَّسات في اوساطهم والخناجر مستلَّة في ايديهم والسيوف منتضاة في ايدي الآخرين والبنادق في اكتاف بعضهم وقد تنطقوا بحزامات محشوَّة فشكاً وهم واقفون والاقداح في ايديهم والخمّار يصبّ لهم النبيذ وبعضهم يكرع كوبه . وعلى رأينا انهُ كان يمكن الاستغناء عن هذه الصورة وابدالها من غيرها ممَّا يمثل الصانع او الفلاح او رسوم اجتماعات في الاعراس اللبنانيَّة او الرقص اللبناني اللطيف ؟

وهنا ترى الافرنج يقفون معجبين بالاركيلة وخرطومها (نربيجها) الطويل ذي الخيوط الذهبية وبعضهم يسأل كيفيَّة استعمالها. والى الامام ترى الادوات النحاسيَّة المنقوشة والمخرّمة وتشاهد العود والقانون والدفّ والارغن القصبي وغيرها من آلات الموسيقى السورية. وفي وسط هذه المعروضات صورة دراويش ممّن يلبسون على رؤوسهم لبّادة طويلة وهم يرقصون رقصاً لطيفاً جامعاً بين الفنّ والادب. (قلنا) اين هذا من «افراح لبنان» المعروضة هنا!

وفي قسم «الكبوشيّين» في بيروت مصنوعات ايتام لبنان: كراسي مخرَّمة ومنقوشة ومطعَّمة بالصدف يفعم مرآها القلب سروراً. وفي قسم «الكرمليّين الحفاة» بدلات للقدّاس من صنع راهبات الزيارة في الزوق ونحاس منقوش نقشاً بديعاً من صنّاع الاسكندرونة وكاسات لصاغة لبنانيين. وهنا ارزة مطرزة تطريزاً جميلاً فايّ لبناني يمرُّ امامها ولا يقف لحظة يحيّي فيها رمز وطنه المفدّى ؟؟

ومن بين معروضات «جزائر الارخبيل» يستلفت النظر صورة القديس يوحنا المعمدان ولاوّل وهلة يخيل للناظر انها صورة زيتيَّة ولكنهُ اذا دنا منها وجدها مصنوعة بطوابع البوسطة على مختلف الوانها واشكالها فلا يلبث ان يهتف: لا شُلّت يد صانعك!

وبعدها نواصل السير فنبلغ الى اقسام «آسية الداخليَّة» فنشاهد ما يقف عنده النظر: مثالاً لمشغل ومدرسة مار يوسف مع مدخلها والحوش امامها والكنيسة تعلوها قبَّة بديعة الصنع كل ذلك مصنوع من العاج يأخذ جماله بمجامع القلوب وتمثالاً فخيماً للقديس فرنسيس كسافاريوس

وفي معرض «الدومنيكان لرسالة الهند الصينيَّة» هيكل من الخشب الاسمر ولعله من جوز ذو ثلاثة مراكز لثلاثة تماثيل فيه تخاريم ونقوش فنيَّة تحيّر فيها النظر. وامام هذا الهيكل انسجة حريريَّة حمراء مطرَّزة تطريزاً شائعاً في تلك الاصقاع وادوات خشبيَّة مطعَّمة بالصدف الملوَّن يختلف كثيراً عما هو معروف في الشام. وفي هذه الغرفة رسوم طوباويين من هاتيك البلاد وقد كتب تحتها: الكهنة الوطنيّون يُكرَمون على الهياكل وعددهم ٢٥ منهم: ٦ أنّاميين و ١٥ تنكينياً و ٤ صينيين قُتلوا شهداء ايمانهم وأعلنت الكنيسة تطويب بعضهم في سنة ١٩٠٠ والآخرين في

سنة ١٩٠٩

واذ نصل الى المشى الاخير نشاهد بين معروضات ﴿ تنكين الوسطى ﴾ عرشاً فخيماً لحمل تمثال العذراء في زياحاتها بنقوش وتخاريم مذهّبة ومرصعة بالالوان ثم جبالًا واودية مجسّمة تتخللها القرى مع كنائسها وهياكل خشبية ملوَّنة ثم آلات للسري ووسائل النقل ، سفناً بحريّة ، مستشفيات ، قاعات استقبال صينيَّة ، نباتات مجفّفة وهي حافظة لبهائها ورونقها

وعند الساعة السادسة مساءً يقرع الجرس اعلاناً للزائرين بأن وقت اقفال المعرض قد ازف لانهُ لا ينتح ليلًا فيبدأون يخرجون زرافات ووحداناً . فاذا بلغ الزائر الى الساحة المتوسطة بين جانبي المعرض والمؤدية الى الباب الخارجي يقف مبهوتاً لمشهد مؤثّر : هناك كوخ حقير فيهِ أمٌّ مع طفليها فالامُّ ماتت جوعاً وبقي الطفلان حيَّين يتململان على جثتها وهجمت الضباع على الكوخ تبحث عن فريسة لها . . . واذا براهبة من راهبات المحبَّة ولجت الكوخ وحملت الولدين فنجّتهما من انياب الوحوش وذهبت بهما الى حيث تجعلهما في حمى من كل خطر ! . . .

هذا ما بقي ذكره في الذهن وما يهمّ الخبر عنهُ فضلًا عمّا هنالك من المعروضات الدقيقة التي يقتضي للكلام عنها مجلّد ضخم فلنكتفِ بما ذُكر

وهكذا ننتهي من زيارتنا لاوَّل معرض من هذا النوع ممجدين الله تعالى على ما اولاه لخدّامه المرسلين من الوسائل المسهّلة للعمل فقاموا الى خدمته عزَّ اسمه مجرَّدين من الاهل والاوطان سعياً وراء الانفس الضالّة : اذ لولا الرسالات الكاثوليكيَّة وتجرُّد المرسلين لكان عدد الكافرين بالحق سبحانه اضعافاً مضاعفة

فلندعُ للرسالات الكاثوليكيَّة بالنجاح وزيادة الانتشار فيُذاع اسمه تعالى بين كل الامم ويُضحي العالم اجمع رعيَّة واحدةً لراعٍ واحد !

شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العبّاسيّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٩ امين الدولة العلاء بن موصلايا

❊ اسمهُ وزمانهُ ❊ قال عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris, 3326): «هو امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن وَهْب بن الموصلايا» وفي نسخة ليدن(Ms de Leide, 881, p. 41)وفي تراجم ابن خلِّكان (ص٥٤٥ طبعة باريس) انهُ يكنى ابا سعيد العلاء بن الحسين». وضبط ابنُ خلكان اسمهُ مُوصَلايا بضم الميم وسكون الواو وفتح الضاد قال: «وهو من اسماء النصارى». كان منشأه بغداد فدعاهُ ابن خلكان «بالكاتب البغدادي ومنشئ دار الخلافة» على انَّ اسم جدّهِ يدلّ على انَّ اصلهم من الموصل

اما زمانهُ فانهُ عاش في القرن الخامس للهجرة كانت وفاتهُ في ١٣ ربيع الاوَّل سنة ٤٩٧ (اواسط كانون الثاني ١١٠٤م) كما روى الاصفهاني في خريدة القصر وابن الاثير في الكامل. امّا ابن خلكان فجعل وفاتهُ في تاسع عشر من جمادى الاولى من السنة ويروى ثامن عشر جمادى

وجاء في نكت العميان للشيخ خليل بن ايبك الصفدي (مكتبة بايزيد في الاستانة نمره ١٦٣) انهُ ولد سنة ٤١٢ (١٠٢١م) فيكون عاش ٨٥ سنةً

❊ دينهُ ❊ ولد امين الدولة نصرانيًا وعاش نصرانيًا في خدمة الخلفاء الى السنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م) فاسلم. أمّا اسلامهُ فلم يكن عن اقناع واختيار بل عن كرهٍ واضطرار كما روى ابن تغري بردي في تاريخ سنة ٤٨٤ (ed. Popper, III, 287) قال:

«فيها في صفر كتب الوزير ابو شجاع (محمَّد بن الحسين الرُّوذراوَري) الى الخليفة (المقتدي بالله) يعرّفه باستطالة اهل الذمّة على المسلمين (كذا) وانَّ الواجب تمييزهم عنهم. فامر الخليفة ان يفعل ما يراهُ. فألزمهم الوزير لبس الغيار والزنانير وتعليق الدراهم الرصاص في اعناقهم

مكتوبٌ «على الدراهم» وتُجعَل هذه الدراهم ايضاً في اعناق نسائهم في الحمّامات ليُعرَفْن بها وان يَلبَسْنَ الخفاف فردًا اسود وفردًا احمر وجلجلًا في ارجلهنَّ فذَلّوا وانقمعوا بذلك وأسلم حينئذٍ ابو سعد ابن المُوصَلايا كاتب الانشاء للخليفة وابن اخيهِ ابو نصر هبة الله »

فترى التساهل المزعوم الذي يدَّعيهِ بعض الكتبة للخلفاء. وكيف أُكرِه على جحود دينهم كثيرون من النصارى وفي جملتهم ابن الموصلايا أفيحقُّ لنا ان ننظمهُ في سلك الاسلام وان دان بهِ ظاهرًا في السنين الاخيرة من حياتهِ ؟

﴿ أخبارهُ ﴾ كان ابن موصلايا من نصارى بغداد المنتمين الى البدعة النسطوريّة ورد ذكرهُ في تاريخ المجدل لابن ماري النسطوري (١٢٢ و١٣٣). واصل اسرتهِ من الموصل كما يدلُّ عليهِ اسمهُ تخرَّج بالآداب على اهل نحلتهِ ثمَّ دخل في ديوان الانشاء في خدمة الخلفاء. قال الصفدي في كتابهِ نَكت الهميان في نُكت العميان (عن نسخة الاستانة اطلب طبعتهُ الجديدة (ص ٢٠١—٢٠٢) :

« كان (ابن موصلايا) يتولّى ديوان الرسائل منذ ايّام القائم (بامر الله) وناب في الوزارة وأضرَّ آخر عمرهِ وكانت خدمتهُ خمساً وستين سنة كل يوم منها يزيد جاههُ وناب في الوزارة ولمّا أضرَّ كان ابن اختهِ هبة الله بن الحسن يكتب الانشاءات عنهُ . وكان كثير الصدقة والخير. ومولدهُ سنة ٤١٢ وتوفي سنة ٤٩٧ ثامن عشر جمادى الاولى. وكان الخليفة قد لقّبهُ امين الدولة. قال محمَّد بن عبد الملك الهمداني (ويروى الهمذاني) ومن قرأ علم السِيَر عَلِمَ انَّ الخليفة والملوك لم يثقوا باحدٍ ثقتهم بامين الدولة ولا نصحهم احد نصحَهُ»

وقال عماد الدين الاصفهاني في خريدة القصر :

« ولم يزل امين الدولة موقَّرًا موفَّر الحرمة ينوب عن الوزارة المقتديّة والمستظهريّة حتى قال عميد الدولة للمستظهر عنهُ وعن ابن اخيهِ : هما عينا الدولة وابناها لا يُبرَم دونهما امرٌ وكان كثير الصدقة والصلة ذُكر عنهُ انهُ فرَّق في يوم من ايام الغلاء (ويروى : في ايّام قليلة) ثلاثين الف رطل خبزًا »

وقال ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٧ انَّ امين الدولة توفي فجأة وانهُ «كان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النيّة ووقف املاكهُ على ابواب البرّ»

(قلنا) فكان جزاؤهُ على هذا الفضل العميم ان أرغموهُ على جحود دينهِ . فتأمّل

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ غنيٌّ عن البيان ان رجلًا تولّى ديوان الانشاء للخلفاء مدّة خمساً وستين سنة بلغ من الآداب مبلغاً عظيماً . قال عماد الدين الاصفهاني يصف

كتابتهُ ويطري حسن انشائهِ

« كان ابن الدولة بليغ الانشاء سديد الآراء رسائلهُ تعبّر عن فضلهِ ووفور علمهِ . وكان نثرهُ احسن من نظمهِ لتمرُّنهِ عليهِ وانقطاعهِ اليهِ . على انَّ لهُ مقاطعات مستعذبة اراها احلى من الأري وأزين من الحلي وهي في اسلوب شعر الكتّاب بعيدة عن التكلُّف في الصنعة ، ارقّ معنى من الدمعة ، واعذب لفظاً [متكلّم] مستبشر الطلعة »

امَّا ابن تغري بردي فقد وصفهُ في تاريخهِ (٣: ٣٤٥) بالمترسّل والشاعر المُجيد . وقد خلَّف ابن موصلايا كتاباً في الترسُّل ذكرهُ القلقشنـدي في صبح الاعشى (١٣: ٢٧٢) . امَّا شعرهُ فدونك ما جمعنا منهُ نقلاً عن كتاب خريدة القصر لعماد الـدين وعن نكت العميان لخليل بن ايبك الصفدي وعن تاريخ ابن تغري بردي . فمنهُ (من الخفيف) :

يا خليليَّ خلِّياني ووَجْدي فكلامُ العذول(١ ما ليس يجدي
وَدَعاني فقد دعـاني الى الحُكـم غريمُ الغرامـة اللَّتِ عندي (٢
فعساهُ يرقُّ اذ ملَكَ الرقَّـم بنقدٍ من وصلهِ او بوَعْدِ
ثمَّ مَنْ ذا يُجير منـهُ اذا جـار ومَنْ ذا على تَعدّيهِ يُعدي

وقال في وصف المدامة (من الطويل) :

وكأسٍ كساها الحُسنُ ثوبَ مَلاءةٍ فحازَتْ ضياءً مُشرقاً يُشبه الشمسا
اضاءَت على كفِّ المُدير وما درى وقد دَجتِ الظلماءُ أَصبحَ ام أَمسى

ومن شعرهِ ايضاً (من السريع) :

يا هنـدُ رِقّي لفتًى مُدنَفٍ يَحسن فيهِ طلبُ الأجرِ
يرعى نجومَ الليل حتى يرى حلَّ عراهـا بيـدِ الفجرِ

---

١) ويروى : فلام العذول

٢) ويروى : غريم الغرام للذي عندي . واللَّتِ بدل اللتي لضرورة الوزن

ضاق نطاقُ الصبر عن قلبهِ عنـد اتّساع الخرق في الهَجْر

وهو القائل (من الوافر) :

اقول للائمي في حب ليلى وقـد ساوى نهـارٌ منهُ ليلا
أَقِـل فما أقلَّ قطُّ أرضٌ مُحبًّا جرّ في الهِجْران ذَيْلا

وقال في الشوق ووصف الخمرة (من الطويل) :

أحِنُّ الى روض التَّصابي وأرتاحُ وأمتَحُ من حوض التصافي وامتاحَ
واشتاقُ رِئمًا كلّما رُمتُ صيدهُ تَصُدُّ يدي(١ عنهُ سيوفٌ وارماح
غزالٌ اذا ما لاح او فاح نشرُهُ تُعذَّبُ ارواحٌ وتَعـذُب ارواح
بنفس وان عزّت واهلي اهلهُ لها غُرَرٌ في الحُسْن تبدو وأوضاح
نجومٌ اعاروا النورَ للبدر عندما اغاروا على سرب الملاحة واجتاحوا
فتَفضحُ الأعذارُ فيهم اذا بدَوا ويفتضحُ الاخوان(٢ فيهم اذا لاحوا
وكَرْخيّةٍ عذراء يُنذرُ حبها ومن زندها في الدهر تُقدَحُ افراحُ(٣
اذا جُليَت في الكأس والليلُ ما انجلى تَقابلَ إصباحٌ لديكَ ومِصباح
يطوفُ بها ساقٍ لسُوق جمالهِ نَفاقٌ لإفسادِ الهوى فيهِ إصلاح
بهِ عجمةٌ(٤ في اللفظ تُغري بوصلهِ وان كان منهُ في القطيعة إفصاح
وغُرَّتهُ صبحٌ وطُرَّتهُ دُجى ومَلبَسُهُ دُرٌّ وريقتـهُ راحُ

١) ويروى : تَصدَّى يُرى
٢) ويروى : ويفتضحُ اللاحون
٣) ويروى : ينذرُ . . . ومن دنّها . . تُقدح اقداح . واراد بالكرخ خمر كَرْخ بغداد
٤) ويروى : لهُ عجمةٌ

أباح دمي مذ بحتُ في الحبّ باسمهِ وبالشَّجْو من قبلي المحبّون قد باحوا
وأوعدَني بالسوء ظلماً ولم يكن لإشكال ما يُفضي الى الضَّيم ايضاحُ
وكيف أخافُ الضيم او احذر الرَّدى وغوثي على الايَّام أبلجُ وَضَّاحُ
وظِلّ نظام الملك للكَسْر جابرٌ وللضرّ منَّاعٌ وللخير منَّاحُ

وله ايضاً (من الطويل):

واني لَصَبٌّ بالصبا مذ غداتها هبوبٌ بهاتيك الخيام يجولُ
ومن عجبٍ ان أبتغي من نسيمها شفاءَ عليلٍ والنسيمُ عليلُ

ولهُ في خريدة القصر من نسخة ليدن ابياتٌ اخرى منها داليةٌ بديعة لم يسمح لنا الزمان بنسخها. امَّا ترسُّلهُ فقد ورد منهُ مثال في تاريخ المجدل لابن ماري (ص١٣٣–١٣٥) وذلك نسخةُ من انشاء عهدٍ كتبهُ باسم الخليفة القائم بامر الله لجاثليق النساطرة الفطرك عبديشوع نذكر منهُ بعض فقراتهِ كمثال من انشاء ابن الموصلايا

بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله وحده

«هذا كتابٌ امر بكتبتهِ عبدالله ابوجعفر الامام القائم بامر الله تعالى «اعتضادي بالله» لعبد يشوع الجاثليق الفطرك. امَّا بعد فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ، القديم لا عن وجود زمان، الذي تقصَّرتْ صيغة الاوهام عن ادراكهِ، ونضلت صفة الافهام عن بلوغ يدى (مدى) صفاته ... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»

الى ان قال:

«الحمد لله الذي استخلص امير المؤمنين من ازكى الدرجة والارومة واحلَّت (واحلَّهُ) من عزّ الامانة ذروةً من المجد منيعةً غير مروه (غير مرومة) ...

«ولمَّا أُنهي الى حضرة امير المؤمنين تميزك من نظرائك، وتحلّيك من السداد بما يستوجبُ معهُ من امثالك البالغة في وصفك واطرائك، وتخصُّصك بالانحاء التي فُت

فيها ساو (شأو) اقرانك ، وأقدتَ بها ما قصَّر معهُ مُساجلُك من ابناء جنسك ان يعدلك في ميزانك ، وما عليك (عليه) يَخلُتك من حاجتهم الى جاثليق كافل باوورهم ، كافٍ في سياسة جمهورهم ... فلم يصادفوا من هو بالرئاسة عليهم احقّ واحرى ، وللشروط الموجبة للمقدَّم فيهم اجمع واحرى ، وعن اموال وقوفهم اعفّ واورع ، ومن نفسهِ لداعي التحرّي فيها أتبع ومنك اطوع ، فأصاروك لهم راعياً ، ولتشييد نظامهم ملاحظاً واعياً ، وسألوا إمضاء نصبك عليهم ... فرأى امير المؤمنين الاجابة الى ما وُجّهتَ اليه فيهِ الرعيَّة ... مقتدياً فيما اسداهُ اليك ، واسناهُ من انعامهِ لديك ، بافعال الائمَّة الماضين والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، مع امثالك من الجثالقة الذين سبقوا ، وفي مقامك اتَّسقوا ، واوعز ترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طُرّاً ولكل من تحويه ديارُ الاسلام من هاتين الطائفتين .... وان يُمضَى تثقيفك لهم وأمرُك فيهم اسوةً بما جرى الامر عليهِ من كان قبلك بينهم ... فقابل نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر يبلغ فيهِ المدى الاقصى ....

•عُرض هذا المنشور بحضرة سيّدنا ومولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين اعزَّ الله انصارهُ وضاعف اقتدارهُ ، وأنفذهُ وامضاهُ ، وشرَّفهُ بالعلامة الطاهرة على اعلاهُ ، فليُعتمد وليُعمل بحسبهِ ومقتضاهُ ، ان شاء الله

٢٠ ابو نصر بن موصلايا

﴿ اسمهُ وزمانهُ ﴾ هو تاج الرؤساء ابو نصر هبة الله ابن صاحب الخبر حسن ابن عليّ ابن اخت امين الدولة السابق ذكرهُ . كان مولدهُ سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦م) •توفي على ما رواهُ عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وابن خلكان في تراجمهِ (ص ٥٤٥) في عشيَّة الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة ٤٩٨ ببغداد (اوائل شباط ١١٠٥) ولهُ سبعون سنة وبين موتهِ وموت خالهِ سنة إلَّا عشرة أيام (هلاليَّة)

﴿ دينهُ ﴾ كان ابو نصر كخالهِ امين الدولة نصرانيًّا من النِحلة النسطوريَّة وبقي على نصرانيَّتهِ الى السنة ٥٦ من عمرهِ فأسلم مكروهاً مع خالهِ كما مرَّ . قال

الشيخ خليل بن ايبك الصفدي: « لمّا رسم الخليفة المقتدي في رابع صفر سنة ٤٨٤ إلزام اهل الذمّة الغيارَ والتزام ما شرَطهُ عليهم عمر بن الخطّاب (١ فهربوا كلَّ مهرب واسلم ابو غالب الاصباغي وابن موصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن اختهِ ابن صاحب الخبر على يد الخليفة »

﴿ آدابهُ واخبارهُ ﴾ قال عماد الدولة الاصبهاني :

ربّي ابا نصر خالهُ فكتب بين يديهِ في ديوان الانشاء في الايام القائميَّة والمقتديَّة والمستظهرية واسلم مع خالهِ على يد الامام المقتدي. وكان لمّا أضرَّ خالهُ يكتب عنهُ ما جرت بهِ العادة من الإنشاءات. فلما توفي خالهُ رُدَّ ديوان الانشاء اليهِ في الايّام المستظهريَّة. وخرج في الرسالة الى السلاطين مرارًا. وعاد من الرسالة الى بركيارق (٢ بعد موتهِ الى بغداد. . . وكان لا يقاربهُ احد في الانشاء والعبارة ولم يكتب كتابًا قطّ فرجع فيه الى مبيضتهِ»

وقد ذكرهُ ابن تغري بردي (٣ : ٣٠٤) بعد ذكرهِ فتح الفرنج لانطاكية وانتصارهم على جيش الامراء المسلمين قال:

« كتب دقاق ورضوان (٣ والامراء الى الخليفة المستظهر العبّاسي يستظهرونهم. فاخرج الخليفة ابا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركيارق ابن السلطان ملكشاه السلجوقيّ يستنجدهُ »

وقد ذكرهُ ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٥هـ (١١٠٢م)

« في هذه السنة في ربيع الاوَّل (ك٢ ١١٠١م) خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابن سعد بن موصلايا الى الحلَّة السيفيَّة مستجيرًا بسيف الدولة صدقة. وسبب ذلك ان الوزير الاعزَّ وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليهِ انهُ هو الذي يُميل جانب الخليفة الى سلطان محمد. فسار خائفًا واعتزل خالهُ امينُ الدولة الديوان وجلس في دارهِ. فلما قُتل الوزير الاعزّ على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلَّة الى بغداد وعاد خالهُ الى منصبهِ»

وقال في تاريخ سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م)

« ولمّا مات امين الدولة خلع على ابن اختهِ ابي نصر ولُقِّب نظام الحضرتين وتقلّد ديوان الانشاء »

وقال في تاريخ ٤٩٨هـ (١١٠٥م)

« وفيها توفي ابو نصر ابن اخت ابن الموصلايا وكان كاتبًا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره

١) ما يُنسب هنا لعُمَر في الزام اهل الذمّة الغيار لا يثبتهُ التاريخ الصحيح

٢) بركيارق ومحمّد هما ابنا السلطان ملكشاه السلجوقي الذي استولى على بغداد فتنازع الملك بعدهُ ولداهُ ٣) كان دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب

سبعين سنة . ولم يُخلف وارثاً لانه اسلم واهلهُ نصارى فلم يرثوهُ وكان يُبخَّل الَّا انهُ كان كثير الصدقة »

ووصفهُ ابن خلكان في ترجمة خاله قال

«كان تاج الرؤساء ابو نصرفاضلاً لهُ معرفة بالادب والبلاغة والخطّ الحسن وكان ذا رسائل جيدة وهي مدوَّنة ايضاً ومشهورة»

﴿ شعرهُ ﴾ روى لهُ عماد الدين الاصبهاني شعراً (Ms de Leide 881, p. 45-46) قال ملغزاً في الخاتم (من الوافر) :

ومنكوحٍ اذا ملكَتْهُ كفٌّ وليس يكون في هذا مِراءُ
لهُ عين تخلَّلها (١ ضياءٌ وان كُحلت فبالميل العماءُ
وقد اوضحتُهُ وأبنتُ عنهُ ففسِّرهُ فقد برح الخفاءُ

ولهُ في دالية الماء (اي الناعورة) (من السريع) :

ومَيْتَةٍ فيها حراكٌ اذا قامت على منبرها خاطِبَهْ
ساعيةً في غير منفوعها فهي اذًا عاملةٌ ناصبهْ
ان وُطئت تحمل من وقتها حين تُرى مجذوبةً جاذِبَهْ
تمدّ غرثاها بريٍّ اذا اضحت بروقُ للحيا كاذِبَهْ (٢

هذا ما امكنّا الحصول عليهِ من اخبار ابنَيْ موصلايا . وقد ورد ذكر كاتب آخر بهذا الاسم وهو « ابو علي بن الموصلايا » جاء ذكرهُ في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة قال عنهُ (١ : ٢٣٢) انهُ كان كاتباً للوزير ابي قاسم المغربي . وذكرهُ ابن بطلان في رحلتهِ التي روينا منها قسماً انَّ من جملة المتوفين بالطاعون في اواسط القرن

---

١) ويروى : تخلّلها

٢) قال في شرحها اي انها اذا قامت على حائطها صارت ذات حركة واذ وُطئت بالارجل تحمل من وقتها بالماء. وقلائدها الحبال الملتفّة بها

الخامس للهجرة كان ابو علي بن الموصلايا من متقدّمي علوم الادب والكتابة . فيكون سبق عهد امين الدولة وتاج الرؤساء وهو من اسرتهما في بغداد

٢١–٢٢ ابو غالب وابو طاهر ابنا الاصباغي

﴿ اخبارهما ودينهما ﴾ هما اخوان نصرانيَّان من كتبة ديوان الانشاء للخلفاء. كانا معاصرَين لابنَي الموصلايا اضطُرَّا مثلهما الى الإسلام لينجوَا من تذليل النصارى كما مرَّ سابقاً . امَّا اخبارهما فلم نجدها في غير خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني نقلناها عن نُسَخ لندن (British Museum, Ms. 1096, ff. 40-46) وباريس (Paris, Ms. 3326, f. 7) وليدن (Leide, Ms. 881, p. 46-49) قال الاصفهاني عن ابي غالب :

« هو تاج الرؤساء ابو غالب بن الاصباغي الكاتب كتب بديوان الذمام (١ في بعض الايَّام المستظهرية وناب عن ديوان الذمام في ايَّام المقتدي . ولهُ تصنيف في علم الكتابة . وجماعة الحسَّاب وكتَّاب العراق يكتبون الحساب على طريقتهِ . وأسلم في صفر سنة ٤٨٤ (١٠٩١ م) قبل اسلام ابني موصلايا بيوم حيث خرج التوقيع الشريف بإلزام اهل الذمَّة بالغيار وكان من بركات ذلك اسلامهم (كذا) »

وقال عن ابي طاهر : « ابو طاهر بن الاصباغي اخوهُ كان يخدم عفيفاً القائميّ (٢ وانصرف عن خدمتهِ فبلغهُ انهُ تهدَّدهُ وكان عفيف قد بنى دارًا وانفق على سقفها في التذهيب اكثر من خمسة آلاف دينار فعمل فيه ابو طاهر ابياتاً غاظتهُ فتهدَّد ابا طاهر . ولم يذكر العماد إسلام ابي طاهر

﴿ شعرهما ﴾ روى العماد الاصفهانيّ لابي غالب قولهُ يصف الخمرة وفعلها في شاربها (من الكامل) :

عقرَتهم معقورةٌ لو سالمَتْ شُرَّابها ما سُمِّيَتْ بعُقارِ
ذكرت طوائلَها القديمةَ اذ غدَتْ صرعَى تُداسُ بأرجل العصَّارِ

١) روى في احدى النسخ : ديوان الزمام وفي نسخة اخرى : ديوان الزمام بالزاي
٢) يريد احد الامراء الذين في خدمة القائم بامر الله الخليفة العباسي

لانَتْ لهم حتى انتشَوا وتمكَّنتْ منهم فصاحَتْ فيهم بأَثارِ

وقال ملغزًا في القمر (من السريع):

مُقامرٌ مذ كان لم يُقمَرِ كأنَّما يلعبُ بالسُّدَّرِ

يعشقهُ الناس على جَوْرهِ والجورُ ممقوتٌ على الأكثرِ

شبابُهُ المرموقُ في شيبهِ وشيبهُ مذ كان لم يخطرِ

يدلُّ في البيع ولكنَّهُ يميل احياناً مع المشتري

حديثهُ مع انهُ صامتٌ يَهيجُ من شقشقة السُّمَّرِ(١)

وروى لابي طاهر الابيات التي ذكر فيها ترويق عفيف القائمي لسقف داره وتذهيبها قولهُ (من الطويل):

تنوَّقْ وزوِّقْ وادهُنِ السقفَ والعمرا فان تمَّ فاكتب تحت زنّاره سطرا

علوٌّ وإقبال ومجدٌ موُثَّلٌ لصاحبهِ حقًّا ومالكهِ دهرا

لمنْ عندهُ في الدار وجهٌ مقدَّرٌ على مثل هذا الوجه والأوجه الأُخرى

وهذا دعاءٌ أنت منهُ مبرّاً وكان اميرُ المؤمنين بهِ أحرى

قال فتطيَّر عفيف منها ومات بعد شهر واخذ المقتدي السقف فكأنَّ الله أنطق ما في القدر على لسانهِ

(لهُ بقيَّة)

---

١) قال الشارح: سمَّاهُ مقامرًا لان اسمهُ فعل القمار. ولقَّبهُ السُّدَّر (ويروى الصدر) معروف وجورهُ علوُّهُ. وشبابهُ إبدارهُ. والمنجّمون ذكروا انَّ لهُ ميلًا مع المشتري. وحديثهُ دوامُ ضوئهِ

كريستوفان ابن الكشافة فاسكو دي غاما

لحضرة الاب انطون دا كروز اليسوعي

نشر المشرق في عدد نيسان الاخير (ص ٢٦٤—٢٧٣) خلاصة ترجمة ومآثر ذاك الكشّافة الكبير الذي فتح لوطنهِ البرتغال بل لاوربَّة باسرها طريق الهند بحرًا نعني بهِ ڤاسكو دي غاما الذي احتفل العالم المتمدّن بتذكار المئة الرابعة لوفاتهِ. ولا بدع فانَّ قليلين مثلهُ أدّوا لحضارة العالم وعمرانهِ الخدم الجليلة التي أدّاها بإقدامهِ وشهامتهِ. ويحقُّ خصوصاً للكنيسة ان تشكر له فضلهُ كما صرَّح بهِ ممثّل الحبر الاعظم في حفلات لسبونة المنسنيور تدسكيني بقولهِ انهُ هو الذي مكّن كنيسة المسيح منذ اربعمائة سنة ان تقوم بدعوتها وتدعو الى الايمان بالمسيح الشعوب الشرقيَّة المتسكعة تحت ظلال الموت

على انَّ لڤاسكو دي غاما اخوين يُدعيان بولس وكريستوڤان وولدَين بولس واستفان اشتهروا جميعاً بخدمة وطنهم في الهند حيث اجترحوا من الاعمال الجليلة ما شرَّف اسرتهم واضافوا محاسن جديدة الى مفاخر كبيرهم ڤاسكو دي غاما. فان استفان خلف والدهُ في امارة المستعمرات البورتغاليَّة في الهند ومات اخوهُ بولس في محاربة اعداء وطنهِ.

ولعلَّ اوسعهم شهرةً واكبرهم عملًا انما كان كريستوڤان اخو ڤاسكو دي غاما. ولذلك خصّصنا هذه الصفحات لقرّاء المشرق ليكرموا في شخصهِ مثال الشهامة في خدمة الوطن وتضحية النفس في سبيل الدين

كان كريستوڤان من جملة الذين رافقوا اخاهُ في اسفارهِ من البرتغال الى الهند. وتعيَّن هناك بعد وفاة اخيه كحاكمٍ على المستعمرات الهنديَّة لكنهُ لم تطل مدّتهُ في هذا المنصب الرفيع فرجع الى البرتغال وتحت أمرهِ ٧٢ مركباً

على انهُ ما لبث ان عاد الى الهند فسار مع ابن اخيهِ استفان الذي كان جهَّز حملةً لمحاربة اسطول الاتراك في البحر الاحمر سنة ١٥٤١ فانتظر خروج الاسطول من

سويس لكنهُ لم ينل منهُ إلّا شيئاً يسيراً لخيانة بعض الذين كان عوّل عليهم من رؤساء سواحل البلاد · فعاد باسطوله الى الهند وارسى في مدينة غوا · وكان الحبر الاعظم بولس الثالث اجابةً الى طلب النجاشي ملك الحبش داود أصنف صجد ارسل بصفة بطريرك السيّد جان برمودس ليدعو الحبشة الى الاتحاد مع الكنيسة الرومانيّة · فلما وصل البطريرك الى غوا حصل لهُ فيها استقبال شائق لكنهُ بلغتهُ من الحبش اخبار سيئة فان النجاشي كان توفي واقيم ملكاً بعدهُ ابنهُ كلوديوس وهو في مقتبل العمر فاغتنم اعداء الدولة هذه الفرصة فاثاروا الفتن واستدعوا جيشاً من الاتراك الذين اسرعوا فانبثّوا في جهات الحبش وارتكبوا ضروب الفظائع يقودهم رجلٌ من دُهاة قومهم يدعى احمد جراد اليساري ويدعوهُ البرتغاليُّون باسم (Grogne) وينسبون اليهِ حريق البلاد ونهبها وسبي اهلها وانتهاك حرمة اقداسها وتدمير كنائسها فارسل كلوديوس يطلب الى البطريرك بان يسعى لدى حاكم الهند ليبعث تجردةً ليقوموا في وجه الاتراك ويعيدوا للبلاد سلامها

فاستدعى استفان عمه كريستوفان وانتدبهُ لهذه المهمّة فلبّى الى دعوتهِ بطيب الخاطر وسار الى الحبشة مع ٤٠٠ مقاتل وذخائر حربيّة · فما احتلّ السيد البطريرك والقائد كريستوفان وجندهُ ارض الحبشة حتى خرج اليهم اهلها يتقدّمهم ارباب الدين مع الصليب المقدّس يرحّبون بهم ويباركونهم ويشكرونهم بذرف دموع الفرح لمجيئهم الى خلاصهم من ظلم الاتراك · وكان كريستوفان دي غاما يهدّئ روعهم ويحثّهم على الثقة بالله الذي بنعمتهِ ينالون النجاة

*

من لنا ان نصف ما اتاهُ دي غاما من الاعمال الشريفة والمآثر المنيفة مع عسكرهِ فانّهم مع قلّة عددهم ساروا الى محاربة الاتراك فاحتلّوا عنوةً حصنَين حريزَين يُدعَيان «انباكنه وقلعة اليهودي» كان العدوّ تحصّن فيهما ثم ناجزوهم القتال في ساحة الحرب وغلبوهم دفعتين فكسروا شوكتهم : وكان كريستوفان ينقضّ عليهم انقضاض النسور على بُغاث الطيور وهو دائماً في مقدّمة الجنود وفي كلّ مقام خطر لا يبالي بما يصيبهُ من سهام العدى · فكان مثلهُ يجتذب اولئك الفرسان فيحذون حذوهُ ويبيعون النفس والنفيس في سبيل مرضاتهِ وصون حياتهِ التي كان يجود بها

رخيصةً حتى نسبهُ البعض الى التهوُّر وقلّة الفطنة

وممَّا اخبره جنوده انَّ أحمد جراد رئيس الاتراك لما عرف ان عددهم لم يتجاوز ٣٥٠ رجلًا استعدَّ لمعركةٍ كبيرة جمع لها ١٦،٠٠٠ من جنوده ثم ارسل الى كريستوفان ساعياً يدعوهم الى البراز . فسُرَّ القائد البطل بهذه الدعوة ونفح الساعي بهبةٍ لفرحهِ بهذا النبأ وارسل الى احمد مرآةً وبعض عطور يشير بها الى انهم ليسوا برجال حرب بل اشبه بالنسوة الضعاف . ثمَّ زحف بفرقتهِ اليهم وبدَّد شملهم شذر مذر

وان سأل السائل أنَّى كان لكريستوفان مثل هذه القوَّة الغريبة اجبنا انَّهُ كان يستمدُّ بأسهُ من ايمانهِ الحيّ فكان يذكر المكابيين وقوَّادَ بني اسرائيل الذين أيدهم الله بقوَّة علويَّة فانتصروا على جيوش كبيرة بعدد قليل من انصارهم

فتسلَّح بايمانهِ هذا ولم يألُ جهداً في تعزيز النصرانيَّة في بلاد الحبشة . فأمر بتشييد ما دمَّرهُ الاتراك من الكنائس وقوَّى عزائم الحبشة فتحمَّسوا للدفاع عن دينهم . وبايمانهِ المذكور بعث في قلوب جنودهِ ملْ الثقة فكان يخطب فيهم قبل المواقع الدمويَّة التي يسيرون اليها ويعرض عليهم صليب الربّ فيسجدون لهُ ثمَّ ينازلون العدو كأسود لا يقوم في وجهها قائم ولا يقوى على قهرها منازع يعتبرون الموت كفوز واستشهاد في الدفاع عن الايمان . وذلك ما سندهم في فتح حصن «انبا كنه» الذي كان امنع من وكر العقاب صعدوا اليهِ بعد سجودهم للصليب وتلاوتهم هذه الصلاة: «هبنا يا ربّ عونك لنحارب اعداءك واعداءنا فانَّنا نقدّم لك نفوسنا وحياتنا مستعدّين الى تضحيتها في سبيل ايماننا المقدَّس »

ثمَّ اتى العدوُّ بقوَّات جديدة لمحاربة هؤلاء الابطال وانذر البرتغاليين بما ينتظرهم من الاهوال ودعاهم الى المسالمة قبل ان يسحقهم بعددهِ ومددهِ . فكان جواب كريستوفان وذويهِ كما في السابق انَّ املهم بالله فلا شيء يثنيهم عن محاربة اعداء الصليب . ثمَّ قضوا ليلهم بالصلاة وتناولوا الاسرار المقدَّسة وقبلوا بركة الكاهن ومشوا غير هيَّابين الى تلك المعركة التي كان العدوّ يعدّها قاضيةً فردُّوهم خائبين وكبَّدوهم خسائر فادحة

على انَّ كريستوفان في تلك الموقعة الهائلة أُصيب بجرح مؤلم برصاصة نفذت في ساقهِ وجُرحت يدهُ اليمنى فبقي ثابتاً في مكافحتهِ الى ان فاز بهم جندهُ . ثمَّ اخذ

يعالج جرحى عسكرهِ ولم يفكر في مداواة ساقهِ ويدهِ حتى انتهى من علاج جنوده وكان يعطف عليهم ويعزّيهم ولا يكاد يذكر آلامهُ المبرّحة

رجع العدوّ القهقرى وانما استحوذ على رئيسهم الخجل وتنمّر من الغيظ اذ رأى فئة من الرجال معدودةً لا يثبت امامها جيشهُ العرمرمي فأقسم بالله انهُ لا بُدَّ لهُ من الفوز الى ان يستأصل شأفتهم

وكانَّ الله اراد ان يخوّل عبده نعمة الاستشهاد وهو يلتمسها ليقدّم نفسهُ لهُ تعالى كضحيَّة يتنسَّمها برائحة الرضى

كانت هذه المواقع السابق ذكرها حارب فيها البورتغاليُّون قبل ان تجتمع اليهم جنود ملك الحبشة كلوديوس فقلّ عددهم ولم يبق منهم بعد من الاربعمائة سوى ٢٥٠ جنديًا . ومع قلة هذا العدد لم يشأ كريستوڤان ان يكفَّ عن القتال بل حاول ان ينتزع من ايدي الاتراك حصنًا حريزًا جمعوا فيهِ قواهم وذخائرهم فترك في المعسكر قسمًا من جنودهِ واختار منهم خمسين فتوقّل معهم القلعة التي كان الحصن مشيَّدًا عليها فبلغها وكان يدافع عنها الفان من الجند التركي بينهم اربعمائة من الفرسان فصدَّقهم القتال وفتح الحصن عنوةً وحاول الرجوع الى المعسكر

إلَّا انَّ الاتراك انتهزوا فرصة غيبتهِ عن المعسكر ليحملوا على الباقين فيهِ وكان بينهم المرضى والجرحى فباغتوهم وأعملوا السيف فيهم ففرَّ بعضهم ونجا من الجرحى رجلان كانت كُسرت سوقهما فزحفا مختفيين الى مستودع البارود واضرما فيهِ النار فماتا موت الابطال مع الاتراك الداخلين المعسكر

فاستدلَّ كريستوڤان على الخطر اللاحق بذويهِ واسرع لينقذهم من ايدي العدوّ فاحدق بهِ جند من الاتراك فاخذ يدافع عن نفسهِ بسيفهِ بشمالهِ لكسر أصيبت بهِ يمناهُ وكاد العدوّ يأسرهُ فعمد اليهِ رفقتهُ وحملوهُ مرغومًا واركبوهُ بغلًا وساروا بهِ بعيدًا عن ساحة الوغى ومشوا بين الادغال والصخور وقضوا ليلتهم تائهين فدرى الاتراك بأمرهم وارسل احمد جراد سريَّة من عسكرهِ وراءهُ حتى ادركوهُ وقادوهُ كأسير الى رئيسهم مع ١٣ من رفقتهِ

أُدخل كريستوڤان مغلّلًا على زعيم الاتراك فامر للحال بان يُجرَّد من ثيابهِ وتُربط

يداهُ وراء ظهرهِ ثم جلدوهُ جلداً عنيفاً ولطموهُ باحذية العبيد وساقوهُ الى مضارب الضبّاط وعلى رأسهِ جُرنٌ فاوسعوهُ ضرباً وشتماً ثمَّ اضرموا النار بلحيتهِ ونتفوا شعر رأسهِ وحواجبهِ واهداب عينيهِ . وكان كريستوفان في شدَّة آلامهِ صامتاً جامداً كانهُ لا يشعر بالوجع وانَّما كان يرفع ببصره الى السماء يلتمس من الله الصفح عن ذنوبهِ وشاكراً لهُ تعالى عن تلك النعمة التي تؤهله ببعض الشبه بمخلصهِ

ثم طلب منهُ احمد جراد ان يدلَّهُ على رفقتهِ الذين تفرَّقوا فاجابهُ كريستوفان : لو عرضتَ عليَّ كلَّ مال الاتراك وثروتهم لما كشفتُ عن سرّهم فاصنع بي ما تشاء ما دمتُ في حوزتك . وكان آخر ما عرضهُ احمد على دي غاما ان يطلق سراحهُ ان شاء أن يدين بالاسلام . فنفر كريستوفان من قولهِ هذا كارهاً وأعلن بايمانهِ جهاراً وقال : «اعلم انّنا نحن البرتغاليين نعدُّ ديننا أثمن كنوزنا ونضحّي في سبيلهِ كل شيء حتى حياتنا» . قال هذا بتحمُّس غير هيَّاب فاستشاط احمد غيظاً وضربهُ بسيفهِ فقطع رأسهُ وبدَّد اعضاءهُ فمات دي غاما موت الشهداء

على انَّ الله انتقم لعبدهِ بعد قليل فانَّ جنود الحبش الذين كان البرتغاليُّون ينتظرونهم ليحاربوا معهم الاتراك ووعدهم بهم الملك كلوديوس وصلوا اخيراً فانضمَّ اليهم البرتغاليون الذين نجوا من ايدي الاتراك متفرّقين في الجبال فاستعدُّوا لمعركة عظيمة وجعلوا في مقدَّمتهم رايةً تمثل صورة العذراء مريم بعد ان خصَّصوا نفوسهم لاكرامها . وكان ذكر موت كريستوفان اعظم باعثٍ استفزَّهم للقتال ليأخذوا بثار قائدهم فكرُّوا على الاتراك لا يلوون على شيء . وساروا توًّا الى قلب جيشهم لينتكروا بزعيمهم فبلغوا اليهِ والتفُّوا حولهُ ولم يزالوا يقاتلون من يتصدَّى لهم حتى قذفوا الرعب في قلوبهم وتمكنوا من شخص رئيسهم فقتلوهُ واثأروا لقائدهم وارسلوا برأسهِ الى الملك كلوديوس وانقطع بعد موتهِ نظام الاتراك فخرجوا عن الحبشة وعاد السلام لاهلها

اما كريستوفان فشاع مذ ذاك الحين ذكر شهامتهِ وسموّ فضلهِ واخذ مواطنوهُ يكرمونهُ كبطل امَّتهم وكشهيد ايمانهم حتى انهم كانوا يستشفعون به عند الله . وذكروا لهُ عدَّة كرامات نالوها بشفاعتهِ منها انَّ البرتغاليين الذين حاربوا الاتراك بعد موتهِ لم يهلك منهم واحدٌ في ميدان الحرب . ومنها ما ذكرهُ الاب جيروم لوبو اليسوعي

في تاريخ الحبش انَّ نعماً انبجس حيث وقع الشهيد قتيـلًا فشفي بمائهِ كثيرون من امراضهم حتى طلبت دولة البرتغال من رومية ان يُنظم في سلك الطوباويين الشهداء .

اما الحبش فـانهم لم ينسوا فضل كرستوفـان وشاعت بينهم آثرهُ فكانوا يشيدون بذكر اعمالهِ في حياتهِ وينظمونهُ في عداد شهداء الايمان . فعسى ذكرهُ يحيا في قلوبهم في هذه السنة المخصَّصة بتذكار اخيهِ ڤاسكو دي غاما فينالوا ببركة استشهادهِ ان يدينوا بدينهِ ويرتـدُّوا الى الايمان الكاثوليكي ايمـان القديسَين اثناسيوس وفرومنسيوس رسولي الحبشة فيستنيروا بانوارهِ ويستقوا من مناهلهِ الصافية

سليمان البستاني

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ البيان في كليَّتنا (تتمَّة)

القسم الثاني : رجل السياسة

علق السياسة وهي بكرٌ حرَّةٌ وأشاح عنها الوجهَ وهي وقاحُ (فوزي المعلوف)

تبدأ حياة البستاني السياسيَّة سنة ١٩٠٨ بانتخابه نائباً عن ولاية بيروت في مجلس المبعوثان العثماني . وكان قبل ذلك قد درس اكثر اراضي الدولة لاسيما العراق وبلاد العرب درساً اجتماعياً سياسيـاً اقتصادياً . وبحث عن المناجم والشلَّالات وكيفيَّـة الانتفاع من الريّ وطرُق تحسين الزراعة والصناعة والتجارة . هذا عـدا عن المعارف الجمَّة عن احوال الدولة السياسيَّة ونزعات كبار رجالهـا ممَّن عرفهم بنفسه او قرأ مؤلَّفاتهم او اطَّلع على قوانين جمعيَّاتهم

١٠ آراؤه

ولم يُعلَن الدستور حتى اخذ بكتابة هذه المعلومات المختلفة الجمَّة عن احوال تركيا فأبرز كتابهُ في اسرع ما يمكن من الوقت وأسماه «عبرة وذكرى او الدولـة

العثمانيّة قبل الدستور وبعده». ولما كان هذا المؤلف جامعاً لآرائه في السياسة والاجتماع والعمران بل هو خلاصة ابحاثه الطويلة في هذه المواضيع رأينا من اللازم درسهُ فنرى آراء الرجل قبل ان نشاهد اعماله

يقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات جمع فيها المؤلف معلوماته مقسَّمة الى اقسام عديدة توضح فكرته وتسهل على الجميع تناوُلها. فدرس اوّلاً الدستور القديم والحديث وعلاقته بالاستبداد والحرّية. وتطرّق الى ذكر اصناف الحرّية كالحرية الشخصية وحرية الصحافة والتعليم والتأليف والقراءة والمكاتبة والجمعيات ورجال الدولة. ثم بحث في الدستور والتعصب والخفية ورجال الدين والمهاجرة ومأموري الحكومة وماليتها وجرّهُ هذا الموضوع الاخير الى درس موارد الثروة فتكلم عن الزراعة والمعادن والصناعة والتجارة والاعمال العامة والشركات والسيّاح والمستوطنين وختم الكتاب بنظرة عامّة في واجبات مجلس النواب وما ستفضي اليهِ احوال الدولة بعد ٢٥ سنة

بحث في كل هذه المواضيع بنظره الثاقب ورزانته المعروفة فوفّى كلّ مطلب حقّهُ مبتدئاً بمعلوماته عن ذاك المطلب من حيث التاريخ والسياسة والاقتصاد والعمران ذاكرًا ما يظهر لهُ من اسباب الفساد وطرُق الاصلاح القريب او البعيد. وتجنَّب تطرُّف المتشائمين ونزق المتهوّسين فسلك مسلكاً قويماً كان من الصعب السير فيه اذ ذاك وقد ارهق الاستبداد نفوس المفكّرين واتتهم الحرّية دفعة واحدة فهبّوا لا يعتدلون في شيء... اما هو فقد ترفّع عن تأثير الزمان والمحيط فبدا رزيناً عاقلاً اذا ذمّ الاستبداد لاحظ ان مراده بذاك التعريف «ليس الحكم المطلق الذي لهُ بلا ريب مزايا باهرة مع جهل الرعية وذكاء الراعي بل الاستبداد يعني الحكم الجائر الذي اباح الموبقات واستباح المحرمات» (ص ١٨)

واذا طلب حرّية الصحافة بعد وصف تقييدها والتضييق عليها اعتدل بطلبه فقال:

«وانّنا بلاريب لا نطمع ولا نودّ ان نتخطّى الآن الى ما وراء المعقول فنثب وثبة واحدة من وهدة المسكنة الاضطرارية الى قمة التهوُّر الاختياري بل جلّ ما نتمنّاه ان تباح لنا رواية الاخبار وترديد صدى الافكار والنظر في شؤون انفسنا من القاء درس مفيد وعرض مقترح جديد ونقد عامل وعمل والبحث في كل ما من شأنهِ ان يلذّ ويهذب ويفيد. وعلى الجملة اطلاق الحريّة الى ما لا يفضي بها الى مثل الفوضى التي استحكمت بين بعض جرائد مصر لسنين مضت».
(ص ٣٣-٣٤)

وهذا ما لا يزال يطمح اليه ارباب الصحف العاقلين

واذا حضّ الكتّاب على النهوض من سُبات الخمول وفكّ القيود وابراز مكنونات الصدور في عصر الحريّة والنور حذّرهم برفق من التهوّر المشؤوم وقال :

«ولكن الامل وطيد ان نشوة السرور لا تأخذكم فتتخطّوا جادّة اليقظة والاعتدال لئلّا يختلط النفع بالضرّ والخير بالشرّ» (ص: ٤٦)

وكما كان يحب ان يجعل التروّي زماماً لكل اعماله كذلك كان يرغب في نشره حوله ولاسيما بين رجال الدولة ... وقد قال بعد ان ذكر تهوّر المجلس الاول :

«فكفى بما مضى عبرةً لنا وعظة . ورجاؤنا ان يتخذ الاعضاء التأني والتروّي شعارًا متجردين عن المصالح الخاصة غير طامعين بكسب الشهرة من وراء المناقشات الطويلة التي لم يجنِ بعدُ زمنها . فاننا الآن احوج الى تلقي الدروس منا الى القائها بالخطب واللوائح »

كُتبت هذه الجملة سنة ١٩٠٨ موجّهة الى مجلس النوّاب العثماني . وكأنها كتبت سنة ١٩٢٥ موجهة الى المجلس اللبناني !!!

كان النقيد من رعايا الدولة العثمانية . وعليه كان يرى من واجباته ان يبذل جهده في اصلاح شأن هذه الدولة . ولم يكن ذلك ليمنعه من السعي في تقدم أمّته العربية ووطنه الصغير لبنان . ولكن كان من مذهبه على ما امكننا استخلاصه من كتاباته والمرويّات عنه عدم الانفصال عن الدولة بل تأليف عدة حكومات لا مركزية كما سترى

على انه لم يخشَ وهو المسيحي المحبّ لدينه — وقد درسنا تديُّنه في العدد الماضي ان يجاهر بحقيقة ما رأى وما استنتج من ان عدم تجنيد المسيحيين مع المسلمين مضر بمصلحة الدولة ومصلحة رعاياها من النصارى . ولم يخشَ وهو العربي المتعصب لامته ان ينادي بان عدم تعميم اللغة التركية كان من اسباب انفصام عرى الالفة بين عنصري الدولة : العرب والترك . وقد قال في آخر فصل الدستور والتعصب واصفاً الدواء الفعّال لحسم هذا الداء بعد ان اورد مآتي رجال الدولة في هذا السبيل :

«ولكنه لو اتيح لنا ان نُضيف رأياً الى تلك الآراء النيّرة لقلنا ان اعظم الوسائل لضمان اضمحلال التعصب الديني تجنيد المسيحيين مع المسلمين واعظم وسيلة لاضمحلال التعصب الجنسي تعميم اللغة الرسمية وجعل تعليم اللغة التركية اجبارياً . فان هاتين الوسيلتين مع تعميم اسباب العلم

والتهذيب يضمنان توثيق عرى اتحاد والإخاء» (ص : ٩٨)

وقد علّق في انهاض الشعب املاكبيراً على المرأة العثمانية واشار بتدريسها وتعليمها اساليب الرقي كيف لا وهي «القوام الاعظم لكل تمدُّن حقيقي ثابت . . . والعون الاكبر للرجل في رجوليته ومربّيتهُ في طفوليتهِ ورفيقتهُ في عزلتهِ ومؤاسيتهُ في شدته واليها مرجع الفضل في تثقيف العقول النامية وانبات غرس الفضائل فيها»

امّا ابحاثه في موارد الثروة على اختلاف انواعها فهي غاية في الدقة . وكان اول من كتب فاستوفى (ص ١٠٩) الموضوع في الثروة الناتجة عن زيارة السياح لبلادنا . . الى غير ذلك من الابحاث التي لم يؤثر فيها انفصام وحدة تركيا الّا القليل وهي لا تزال تنطبق حقّ الانطباق على بلادنا هذه في نهضتها الجديدة وما أشبهها بتركيا سنة ١٩٠٨

٢ اعمالهُ

أ في المجلس

كان في مجلس المبعوثان قليل الكلام كثير التفكير لا يحبُّ المناقشات الطويلة التي لا طائل تحتها . وكان اذا عرض له اقتراح بسطه بهدوء عُرف به . واذا احتاج الى الدفاع دافع طويلاً مُدلياً بالحجج الدامغة . واذا طُلب اليه الكلام خطب بعد سكوت قد يطول فروى الغليل وبهر الابصار بسعة في المادة وقوة ودقة في التعبير وتعمُّق في البحث . ولعدم ميله للتبجح والمناقشات التافهة كان في مجلس المبعوثان على اعماله المديدة ومساعيه الجمة التي سنذكرها يكاد يكون غير شهير . ولكن السلطان كان يعرف مقدرته حقّ المعرفة . فكان يعهد اليه برئاسة الوفود الى عواصم اوربا . ولم يلبث ان نقله الى مجلس الاعيان ثم أُسندت اليه الوزارة والمجال اوسع والبحث اكثر فائدة فظهر نبوغه ولمع لماناً لا ينطفئ في القريب . . .

فحقق بكل ذلك آمال مواطنيه البيروتيين وكانوا قد تردّدوا بادئ بدء في انتخابه لما كان يُذيعه في ذاك الحين بعض خصومه من ذوي الغايات من انه اهان المسلمين ونبّههم في كتابه الجديد (الالياذة) . . .

راجت هذه الاشاعات في بيروت سنة ١٩٠٨ فصدَّقها المسلمون باجمعهم . وكاد

خصومه يفلحون لولا ان تصدّى لهم بعض الافاضل من ملّتهم وجمعوا كبار رجال الاسلام واتوا امامهم بالالياذة واخذوا يقلّبونها صفحةً صفحةً برهنين على كذب الادعاء. عند ذاك اقتنع الزعماء وقالوا ان المسلمين لا ينتخبون غير البستاني. وهكذا كان. وقد حفظ لهم الفقيد هذه الحسنة ولكَم ذكرها في اواخر ايامه الى الاستاذ بولس غانم فقال «ان الفضل في انتخابه نائباً عن ولاية بيروت يعود الى المسلمين قبل المسيحيين» ... (وزاد قائلاً): «والى الارثوذكس قبل ابناء طائفته المارونيين.... »(١)

وألّف في المجلس اذ كان رئيسه الثاني اللجنة النيابية الدولية وترأسها ولم تلبث ان اتّصلت بجميع مجالس العالم وكانت غايتها تأييد العلائق الوديّة بين هذه المجالس. وكان رئيساً لاربع لجان غيرها منها لجنة التحكيم الدولي لازالة سوء التفاهم في المشاكل التي تحصل بين تركيا والدول الاجنبيّة. وقد عزّز هذه اللجنة بانشاء جمعية مرتبطة بها تمتدّ فروعها في سائر الولايات العثمانية فتُحكم عرى الاخاء بين العناصر المختلفة في السلطنة

وكان متفقاً مع الاتحاديين في اصلاح امور الدولة. وحضر الجمعية العمومية في سان ستيفانو سنة ١٩٠٩ وقرّر معهم خلع السلطان عبد الحميد. ولّما اتى وفد مسلمي الهند طالباً معرفة اسباب الخلع عُهد اليه بمقابلته فتكلّم واقنع الاعضاء بصحة الخلع ولزومه فرجعوا راضين

ولم ينسَ منتخبيه وقومهُ ووطنه وامته فحفظ حقوق البيروتيين في «مكتب الصنائع» وجاهد فنجح ومنع الحكومة من الاستيلاء عليه. وكان قد صدر امرٌ الى الولاة ان يمنعوا الاطباء والصيادلة المتخرجين في المدارس الاجنبية من الاستخدام في البلديات ومستشفياتها فرأى هذا الامر مجحفاً بحقوق قومه فقاومه واشتغل فنقضه

واهتكر بالمهاجرين من مواطنيه فألفت الى حالتهم اولي الامر وشكّل لجنة رسمية للنظر في شؤونهم. وكان على اتصال مع كبار صحافييهم فكانوا يطلعونه على احوالهم. وقد سعى طويلاً فانشأت الدولة قنصليات عثمانية حيث يكثرون وحمل مجلس المبعوثان فقرّر النفقات اللازمة لذلك

وكان من مآثره انه اشتغل باصلاح ذات البين بين اكليروس الروم الارثوذكس

(١) بولس غانم: من هو سليمان البستاني – لسان الحال في ٣-٦ آب ١٩٣٥

وعلمانيي هذه الطائفة في فلسطين وكانوا قد اختلفوا على ادارة الاوقاف فنجح وألف المجلس الملي المختلط

وتجاوزت عنايته بلاده الى العراق واليمن وكان اهلوهما يتشكون ثقل الضرائب غير المشروعة فدافع عنهم وسعى فخفف تلك الضرائب . وقد استفاد من ابحاثه السالفة في بادية العرب فشرح احوال القبائل شرحاً مستوفياً كان واسطة في تحسين معاملاتها الرسمية

وقد شهد المستر مورغنتو سفير اميركا في الاستانة سابقاً ان الفقيد هو واضع مشروع توحيد الديون العثمانية . وكان في الوقت نفسه يدافع عن الامة العثمانية في صحف الانكليز والفرنساويين مبيناً لاهل اوروبا ان الدستور لا يُنافي الشرع الاسلامي في شيء

ولم تنحصر اعماله في حدود وظيفته بل كانت تتجاوزها الى الوزارات واللجان المختلفة فيمدّ برأيه الصائب الكثيرين من رجال الدولة . يشهد بذلك ما قاله محمود شوكت باشا للمعلم شاكر عون الجزيني وكان هذا قد سافر الى الاستانة بعد خلع السلطان عبدالحميد مع الوفود الآتية من جميع السلطنة . فاستقبلهم محمود شوكت باشا وهو اذ ذاك وزير الحربية وذو الامر والنهي في الدولة واخذ يسلّم عليهم وأحد الاعيان يعرّفه بهم . واذ انتهى الدور الى المعلم شاكر قيل لمحمود باشا : هو مَن اعيان بيروت . فابتسم «الديكتاتور» وقال : « أنكلّفك ان تُعلم اهل بيروت ان نائبهم البستاني هو كناية عن مستودَع كهرباء يُرسل اشعّته الى كل دوائر الاستانة . . . حتى الى وزارة الحربية . . . »

***

وكان السلطان يوفده الى العواصم الاوروبية إمّا وحيداً وامّا رئيساً للوفود فيسعى حيناً بتعزيز الولاء بين حكومته وحكومات اوروبا وحيناً بحلّ المعضلات السياسية او بعقد القروض المالية (١

واذ انتدبهُ السلطان محمد رشاد لابلاغ جلوسه الى دول اوروبا سافر رئيساً للوفد فزاروا العواصم واستُقبلوا في لندرا استقبالاً فخماً . وقبل ان يقابلوا الملك

١) راجع المشرق (ص : ٧٨٩) وفيها ذكر تلك الوفود

ادوار السابع أقبل رئيس التشريفات فبأفهم طريقة المقابلة وان على رئيس الوفد ان يتكلم اوّلاً. ولما تكلم الفقيد وابلغ مهمّته قال الملك بكل لطف : قبل ان أجاوبك رسمياً أحب ان اسألك اين درست اللغة الانكليزيّة ؟ فقال : درستها في وطني بيروت — اذن اقمت مدّة طويلة في انكلترا ؟ . . . واتممت علومك في جامعاتها ؟ . . — لم يسعدني الحظ لذلك يا مولاي بل مررت في بلاد جلالتكم مرتين وهذه الثالثة — اذن درست لغتنا في المدارس الانكليزية في بلادك ويسرّني انك تمكنت من ادراك هذه المرتبة العالية — لا يا ذا الجلالة لم ادرسها في المدارس الانكليزيّة بل في مدرسة بلادي الوطنية (وعنى بها مدرسة المرحوم المعلم بطرس) فابتسم الملك وقال : أوَيحسنون في بلادكم اللغة الانكليزية الى هذه الدرجة من الفصاحة ؟ — هذا يدل على رغبتنا في الارتقاء بالعلوم يا ذا الجلالة ! فسُرّ ادوار السابع وقال : اني اهنئك ببلادك واهنئها بك . ثم أرسل ودعا الملكة وعمّته وابنه وعرّفهم بالفقيد. وخرق العادة فادخله قصره الخاص واراه حجرة الملك والملكة.

وحين زار الوفد مجلس الاعيان واللوردية تكلّم اللورد اسكويث فقال : «انا أشير على كل من يزعم ان لا رجال عند تركيا ان يتكلم مع البستاني فيتضح لهُ فساد زعمه» . ثم انتدبته عمدة جامعة اوكسفرد فخطب في حفلتها السنوية « وأعجب الاوربيون به حتى تناقلوا رسمه بجرائدهم ونشروا سيرته في انسيكلوبذياتهم» (١

٢ً في الوزارة

كان البستاني في باريس يسعى بعقد قرض للدولة اذ رغب اليه البرنس سعيد حليم ان يتولّى وزارة الزراعة والتجارة والمعادن والغابات فقبل بشرط ان يكون حرّ التصرّف بعيداً عن تدخّل جمعية الاتحاد والترقي فقُبل شرطهُ . حين ذاك قلب تلك الوزارة وادخل فيها الرجال الأكفاء . مثل الكومندان سارّو الفرنساوي (والآن الجنرال سارّو) فقد عينهُ مديراً لمدرسة الغابات التي كان قد انشأها . وساسون افندي وكيلهُ وهو الان وزير ماليّة العراق . ونظّم البنك الزراعي وكان اول من افتكر بتأسيس النقابات الزراعية والصناعية في تركيا فطلب من الوزارة ان تعضده في ذلك

---

١) جرجي نقولا باز : سليمان البستاني (ص : ١٠)

فانتدبت شقيقهُ الدكتور سليم البستاني المحامي بمصر للسفر الى اوروبا ودرس حالة الزراعة وتقديم تقرير عنها ومشروع بتأسيسها فقام بمهمته على نفقته الخاصة وقدَّم تقريره الَّا ان اضطراب الحالة الدولية لم تمكن الفقيد من تنفيذ كثير من مشروعات الاصلاح» (١

واوَّل عمل قام به كان اقناع أولي الشأن في الاستانة بضرورة سحب امتياز سكَّة حديد بغداد من المانية لأسباب اهمُّها ان مساحة العشر كيلومترات المعطاة للشركة على جانبي الخط هي مملكةٌ واسعة تشمل اكثر البقاع خصباً ومعادنَ. وقد رضي اولو الامر باقتراحه وبأن تدفع الخزينة التركية ٤ ملايين جنيه تعويضاً لاصحاب الامتياز لينسحبوا. غير ان الحكومة الالمانية تعهَّدت لاصحابه بمثل هذا المبلغ واصرَّت الَّا يرضوا بالانسحاب. ورَجحَ عند كثيرين من ذوي البصر في الشؤون السياسية ان سكة حديد بغداد كانت من الاسباب الخفيَّة في الحرب الكبرى...

ومن مآثره في الوزارة وقفتهُ الشهيرة في حادثة غَوْر بيْسان وقد رواها بنفسه الى نسيبه الاستاذ وديع البستاني:

«غَور بَيْسان ارض خصبة على ضفاف الاردن فيها سبعة انهار صغيرة اكثرها صالح للريّ وفيها ١٨ قرية واربع عشائر اسلامية والقليل من المسيحيين ويبلغ مجموع سكانها ١٥ الفاً. ومساحة الغور ٥٠٠،٠٠٠ دونم وتقدَّر قيمته بـ ٣ ملايين ليرة. كانت هذه الارض قد سُجّلت باسم السلطان عبد الحميد فاعتبرت من جملة الاراضي المعروفة بالجفالك السلطانية (جمع چفتلك: مزرعة). وكان قد اشار على السلطان بشراء هذه الارض وجَعْلها من املاكه الخاصَّة رجلٌ يهودي من خدَمَته اسمه يعقوب عَدَس. وقد حاول اليهود الصهيونيون شراءها عن طريق شركة الاصفر في الشام فلم يفلحوا. وقاومهم اذ ذاك العرب مقاومة شديدة بزعامة سليم افندي الاحمد احد مشرقي الحرب...

وصل البستاني يوماً الى الوزارة وكان علم ان قد وصلها قبله انور باشا مع اكثر الوزراء فتعجب. وزاد عجبه اذ بشَّ له انور وقال: «وفَّرنا عنك تعباً فقد اعددنا القرار وننتظر امضاءك»

---

١) المقتطف: سليمان البستاني [آب (١٩٢٥) ص : ٢٤٦]

امـا ذاك القرار فكان ببيـع اراضي غور بيسان من البـارون ادمون دي روتشيلد وشركته المعروفـة بشركة الاستعمار اليهودية. وكان من شروط البيع ان يقبض انور باشا في ذاك اليوم مبلغ ٢٠٠ الف جنيه نقدًا دفعة أولى تليها باقي الدفعات. امّا الساعي في البيع فكان الملّا (الخوجه ؟) نجم الدين احد مشايخ الاستانة. وكان الفقيد اذ ذاك بصفته وزير الزراعة متوليًا امور البنـك الزراعي فجعـل يصف لانور وللوزراء اهميّة الغور الزراعية والاقتصادية. امـا هؤلاء فكانوا متفقين لا يزحزحهم عن قصدهم برهانٌ ولا حجّة وابى انور الانصياع محتجًّا بحاجة الخزينة الى المال لاصلاح حالة الجيش. عند ذلك قال البستاني: «معاذ الله ان يكون تمنّعي عن الامضاء سببًا في إزعاجكم ولكن بدلًا من ان اوقع امضائي على هـذا التقرير فانا اوقعـه على استقالتي من الوزارة». فتهيّب انور باشا إحداث قلق في الرأي العام وتنـاول القرار فمزّقه ... وهكذا سلم الغور من مخـالب الصهيونيّين الى ان كانت «اتفاقية غور بَيسان» بين حكومة فلسطين والاستاذ وديع البستاني في ١٩ تشرين الثاني ١٩٢١ وبموجبها جرى تطويب تلك الاراضي على اصحابها العرب الوطنيين. واذ كانت تركية تستعدُّ للحرب جـاء انور باشا سليمان والحّ عليه فصـادق على اقراض الخزينة مئة الف ليرة في الحاضر على ان يقرضهـا مئة الف اخرى من اموال البنك الزراعي — وتلك قيمة دفعة روتشيلد الاولى — وهذا ثابت من قيود البنك المذكور

ولعلّ اهمّ واجلّ ما اتاه في وزارته هو عقدهُ الصلح بين تركيا وبلغاريا. وتفصيل ذلك انه عند نهاية الحرب البلقانية اراد البلغار عقد اتفاق مع تركية يضمن مصلحة الدولتين فارسلوا وفدًا الى الاستانة برئاسة المسيو دي ناتشوفيتز فاقام اشهرًا لايحصل على نتيجة. واخيرًا اذ كان يريد الانصراف عُهد الى الفقيد بمفاوضته فذهبَ واذ رآه رئيس الوفد الذي كان يعرفه صاح: «لقد مضى عليّ ثلاثة اشهر لا افهم منهم ولا يفهمون مني. فأمل عليّ شروط الاتفاق كما تريدها»: ولم يمضِ القليل حتى عُقد الاتفاق. وقد عثر «المقتطف» على شهادة مكتوبة بخط رئيس معتمدي البلغار على صورته التي اهداها للفقيد وهي:

« A Son Excellence Suleiman El Bustani, ministre du Commerce et de l'Agriculture, comme témoignage de ma reconnais-

sance pour ses efforts et son succès à amener un rapprochement entre l'Empire Ottoman et le Royaume de Bulgarie

signé **Délégué Bulgare:** G. DE NATCHOVITS

وترجمتها : « الى صاحب الدولة سليمان البستاني وزير التجارة والزراعة اعراباً عن اعترافي بجميله لجهاده ونجاحه في احداث تقارب بين الامبراطورية العثمانية ومملكة البلغار

(الامضاء) المعتمد البلغاري ج. دي ناتشوفيتز »

واذ رجع سليمان واخبر السلطان بذلك وبالمماكسات التي كان يضعها كبار النظّار في سبيل ذاك الاتفاق قال محمد رشاد : « انا عارف ... انا عارف وانا اتوقّاهم كما يجب عليك ان تتوقّاهم » . ثم اراد تعيينه سفيراً في لندرا فاعتذر لاسباب صحّية . ولم يعلن ذاك الاتفاق حتى تلقّته جريدة « طنين » بالارتياح وقالت عن البستاني : « هو الرجل الذي جادت به الطبيعة على الامة العثمانيّة في هذا الوقت » . وقد عرّبت قولها هذا احدى الجرائد اللبنانيّة .

٣ ابان الحرب وبعدها

كان من رايه ان تجتنب تركيا الحرب فتقف منصرفةً الى تحسين احوالها الاقتصادية فتستفيد من المتحاربين واذ تخرج الدول منهوكة القوى تكون هي قوية نشيطة فتستعيد مجدها السالف . غير ان الدسائس الالمانية لم تمكّنه من ذلك فاستعفى واعتزل . ولم يكن اعتزاله في سويسرا ليمنعه من التداخل في السياسة والعمل لخير الدولة فقد سعى مرتين لعقد صلح منفرد بينها وبين دول الحلفاء . وكاد ينجح

وكان اول مساعيه في اوائل سنة ١٩١٧ فتفاوض طويلاً مع المستر مورغنتو سفير اميركا سابقاً في الاستانة . وكان أن ذهب لورد بلفور وزير خارجيّة انكلترة الى واشنطون في تلك الاثناء مفوّضاً فوق العادة ارسله لويد جورج رئيس الوزارة اذ ذاك . فاجتمع في ليلة راقصة بالمستر مورغنتو فاشار عليه هذا بضرورة الاسراع بذاك الصلح المنفرد وهيأ الخطة التي كان اتفق عليها مورغنتو مع البستاني وهي ان يذهب مندوب من كل من ايطاليا وانكلترا وفرنسا واميركا ، وجميع هؤلاء المندوبين من اليهود ، الى مصر بحجة الاهتمام بامر اليهود في الشرق الادنى . فيوافيهم انور باشا في جهة قنال

السويس. وكان ذلك اذ جاء انور بلادنا سنة ١٩١٧ بحجة تفقّد الجيش وكان ناقل الخبر الى انور حاخامباشي الاستانة صديقهُ وصديق مورغنتو. غير ان مندوبي الحلفاء قبل قيامهم من جبل طارق ادركهم الدكتور وايزمن زعيم الصهيونيّين وكان قد علم بمهمّتهم السرّية من سكرتير يهودي المستر لويد جورج. فاسرع في مقابلة رئيس الوزارة وأفهمه واقنعه ان الصلح مع تركيا يفيد سلامتها وبالنتيجة عدم انسلاخ فلسطين عنها وكانت قد تقرّرت وطناً قومياً للصهيونيّين. ثم اتى الزعيم جبل طارق فنهى المندوبين عن اتمام مهمّتهم بصفته صهيونياً ولانه كان قد اقنع لويد جورج فشلّت تلك الفكرة

نقلت هذه الرواية مجلةٌ مصريةعن احدى المجلّات الاميركية سنة ١٩٢١. وقد اكّدها الفقيد لاحد انسبائه وذكر له الشروط التي كان قد اتفق عليها مع دول الحلفاء وكلّها في مصلحة تركيا وهي كما اودعها مذكراته

١ً الغاء الامتيازات الاجنبيّة الغاء تاماً
٢ً ضمانة ممتلكات الدولة بحدودها
٣ً حلّ مسألة الجزر بما يوافق الدولة
٤ً إمداد الدولة بكل ما يلزم لها من المال لاصلاح شؤونها

ولم يوهن هذا الفشل عزيمتهُ بل تابع مساعيهُ وكان طلعت قد رغب اليه ببذل الجهد في ذلك السبيل. وقبل عقد الهدنة بستة اشهر توصّل الى اقناع مندوبي الحلفاء بعقد الصلح مع المحافظة على معظم الشروط السابقة. واخذ بمخابرة الاستانة. وكان قد عرف بهذا الامر امبراطور المانيا بواسطة سفيره في سويسرا. فهرول بنفسه الى الاستانة حاملاً معه ١٠ ملايين من الجنيهات نقد منها مليوناً لطلعت ومليوناً آخر لأنور ومليوناً ثالثاً لذيولها فباع هؤلاء السلطنة العثمانيّة (١ ومما يُعرف عن ثقة انه بعد ان ترك انور الاستانة رأوا الارض تحت بلاط بيتٍ من بيوته مرصوفة بالليرات الذهبية

وبعد الحرب اثناء انعقاد مؤتمر فرسايل كلّفتهُ الدول الممثّلة فيه ان يكتب مذكّرة في مسؤلية الحرب، من حيث دخول تركيّا فيها فكتبها في ١٢٠ صفحة كبيرة ولم يُطبع منها الّا عدد قليل وُزّع على مندوبي الدول المجتمعة

١) بولس غانم: من هو سليمان البستاني - لسان الحال في ٣-٦ آب ١٩٢٥

ثم «قامت النزعات المختلفة تتجاذب الناس وتدافعهم من كل جهة والى كل وجهة . تجاذبتهم ودافعتهم جميعاً ألا سليمان البستاني الذي ظلّ رابضاً ربضة الجبّار الرصين المستيقظ . فلا هو اسرع الى الارتماء في تيّاراتها ولا الخابطون في مجاهلها فطنوا الى الاهتداء بهديه والاسترشاد برشده والاستنارة بنوره

«بلى . . . قد فطن اليه الذين عرفوه حقّ المعرفة ! فطنت اليه الحكومة التركيّة بعد ان استتبّ لها الامر في الاناضول فاستقدمته اليها . . . ولكن البستاني كان اقوى منها اذ ظلّ واضعاً شخصيّته فوق المؤثّرات الخارجيّة فطوت حكومة الاناضول صفحة دعوتها اياه الى احضانها كما طواها هو دون تطبيل او تزمير» (١

٣ اخلاصه لدولته ولأمّته — الترك والعرب — وطنيّته

كان في كل المناصب التي تولّاها يعمل بنزاهة وتجرّد مخلصاً اشدّ الاخلاص لدولته تركيا . وقد رأينا رأيه في اول هذا الدرس بوجوب تجنيد المسيحيّين مع المسلمين وتعميم اللغة التركيّة فكان كما قال عنه كبار نظار الاتراك : « اخلص رجل لتركيا من غير عنصرها » ونقدر ان نزيد : ومن عنصرها ايضاً . ولا ينفي هذا الاخلاص لدولته حبَّهُ لأمّته ولغته فقد كان من اقصى امانيه ان يتألف من الولايات العثمانيّة العربيّة حكومات لامركزية في تلك السلطنة الفسيحة وكان يفضّل هذا الحلّ على الانسلاخ عن تركيا كما قدرنا ان نستنتج من اقواله وكتاباته لانه كان اكثر رزانة من ان ينادي على رؤوس الاشهاد باحلام كانت بعيدة التحقيق في ذاك الحين . وهو لم يألُ جهدًا ، إن في المجلسين او في الوزارة ، في توثيق عرى الوداد بين عنصرَي الترك والعرب . «فعضد اللغة العربيّة في المبعوثان وأيدها في المحاكم ومدارس الحكومة وبقيّة الدوائر في بلاد العرب واستصدر الاوامر الرسميّة بمنع توظيف جاهليها في هذه البلاد ومنع غير ابنائها من تدريسها في المدارس الاعدادية والرشدية والسلطانيّة وإرجاع من عُزلوا من وظائفهم اليها لجهلهم لغة الاتراك» (٢

أمّا حبه لوطنه وابنائه فظاهر في كل حرف خطّه وعمل أتاه . لا يدّخر في خدمتهم

---

١) جريدة « السلام » – بوانس ايرس – في ٨ حزيران ١٩٢٥

٢) جرجي نقولا باز : سليمان البستاني (ص : ١١)

وقته حتى ولا صحّته وقد كتب من الاستانة الى السيّد اسكندر شعون وكان قد دعاه الى زيارة اميركا لتفقّد احوال المهاجرين :

«لم يتقرَّر بعدُ شيء قطعي بشأن سفري الى الولايات المتحدة او غيرها من الاقطار الاميركية فاذا تقرَّر شيء من ذلك افدتكم. ولا اخفي عنكم ان بعد الشقة يخيفني على ما انا عليه من ضعف الصحة ولكن اذا تبين لي من ورائه فائدة حقيقية لابناء الوطن فلا ابالي حينئذ اذا مكنت الفرصة»

وكان يخدم الجميع على السواء لا فرق عنده بين المسيحي والمسلم وكثيراً ما اجتهد رحمهُ الله في قتل روح التعصّب والتفريق وطالما قال للاستاذ بولس غانم: «انقل عني الى ابناء لبنان اني اوثر ان اراه اجدب خالياً من السكان على ان ارى التنابذ والتفريق عاملاً عمله بين الطوائف والاحزاب»

ولبنان كان قِبلة افكاره خاصةً اثناء مرضهِ في سويسرا حتى ان مصائب الوطن وبنيه كانت تُنسيه اوجاعه الشخصيَّة

وهذه حادثة تبيّن في آنٍ واحد تعلقه بوطنه واخلاصه وامانته لمصلحته:

اتى سنة ١٩١٠ موفداً من قبل السلطان لزيارة ولاية بيروت. ولمّا لم يكن لبنان مشتركاً بانتخاب المجلس ولم يكن البستاني موفداً اليه لم يطأ ارضه الّا مرةً واحدة راداً الزيارة للمتصرف في بيت الدين وذلك بصفة رسميَّة. وبالرغم من كونه لبنانياً وبالرغم من وجود اهلهِ في بكشتين والدبيّة وهما على مسافة قصيرة من بيت الدين فانه لم يشأ الّا السير بموجب بعثته. وهكذا فقد اتى بيروت ورجع ولم يرَ قريته واهله مع ما كان عليهِ من الحبّ . . . واذ كان سائراً في طريقه الى القسم الجنوبي من الولاية بين بيروت وصيدا رأى من السّعديات بيته في بكشتين على مسافة ثلاث ساعات. فتأوّه حنيناً اليه. وكان الى جانبه في المركبة الشيخ عبد الله البستاني. فالتفت سليمان اليه وقال:

قد طال عهدي بالقريض فخِلتني أُنسيتهُ بَديعه وبيانهِ
وحللتُ لبناناً فهاج قرائحي ذكر الصبا بحنينهِ وحنانهِ
فاذا نطقتُ فانما هي جمرةٌ في قلب من يصبو الى لبنانهِ

القسم الثالث : رجل العلم والادب

لم تكن شهرة فقيدنا السياسية لتغطي شهرته العلمية والادبية . وهي وان كانت اكثر ضجة في حياته سوف تتضاءل مفسحةً المجال للثانية . وسينسى العالم رجل السياسة بينا رجل العلم والادب يظلّ خالداً بخلود علمه وادبه

١ رجل العلم

قرن البستاني الخبرة السياسيّة الى التعمّق في العلوم فكان يُجيد الجبر والهندسة والطبيعيات والكيميا . وكثيراً ما عُرض عليه ادقّ الاعمال الحسابيّة فحلّها غيباً بعد افتكار قليل

﴿الاختزال﴾ وهو اول من افتكر بالاختزال العربي فوضع طريقتهُ ونشرها في الجزء التاسع من دائرة المعارف في مادة « ستينوغرافيا » بعد ان ذكر تاريخه عند الشعوب القديمة والحديثة وفائدته . وقد اتخذ قاعدةً لتلك الاصول « الاوضاع العامّة واعتمد فيها على مخارج الحروف فجعل صورةً واحدة من حيث الشكل لكل حرفين اتحدا في المخرج (الّا الصاد والطاء) وجعل اكثر الحروف وروداً في الكلام العربي اسهلها رسماً بالوصل والقطع . . . واضاف اليها روابط بالغة في الايجاز » (١ . ثم نشر هذه الطريقة في كتيّب على حدة كما اوردنا في القسم الاول من هذه الترجمة (ص : ٨٧٦)

وقد اخترع آلة يستعملها المختزل العربي فيتمكن من متابعة اسرع خطيب وهي اشبه بالآلة الكاتبة الّا ان عدد مفاتيحها اقلّ لا يتجاوز ٢٦ والورق الذي يستعمل لها لفافاتٌ لا يزيد عرضها على ٥ سنتيمترات . اذا نقر المختزل على المفتاح ارتسمت العلامة الاختزالية على اللفافة الدائرة على بكرةٍ من تلقاء ذاتها . وسلّم اكتشافهُ هذا الى شركة فرنسوية صنعت له قُبَيل الحرب ثلاث آلات بصفة نماذج كانت احداها عنده في الاستانة والاخرى عند اخيه الدكتور سليم في مصر والثالثة عند نسيبه الاستاذ

١) راجع دائرة المعارف «ستينوغرافيا» (الجزء ٩) حيث ترى رسوم الاحرف الهجائية وشرح استعمالها

وديع البستاني. واتفق ان اشتعلت نار الحرب فحالت دون السير بالمشروع. وكان من جملة اغراضه في زيارة اميركا الاهتمام بهذا الاختراع

﴿الاكتشاف الميكانيكي﴾ ومن جملة مقاصده بزيارته تلك الاصقاع كان امله باتمام اكتشافه الميكانيكي وهو جديد في بابه يختص بتقوية القوة الدائمة والمحركة في رفع الاثقال وجرها على طريقة المخل. وقد قابل اديسن كما ذكرنا ولكنه لم ينشر نتيجة هذه المقابلة ولربما ظهرت في مذكراته

﴿قلب ورق البيانو﴾ ومن مخترعاته ايضاً آلة تقلب من تلقاء نفسها اوراق دفاتر «النوط» التي يستعملها الضارب على البيانو فتتوفر عليه اذ ذاك مؤونة قطع عزفه كي يقلب تلك الاوراق. وقد استحصل شهادات (باتنتات) بهذا الاختراع من فرنسا والمانيا وتركيا

﴿الة الكتابة والحركة الدائمة﴾ وقد ذكر الاستاذ بولس غانم انه اخترع ايضاً آلة للكتابة العربية باع امتيازها من شركة اميركية. وكان يلهو وقت فراغه بالبحث في مسألة الحركة الدائمة. واصطنع آلة صغيرة ليتمكن من تحقيقها مع علمه ان تطبيق ذلك على آلة كبيرة من المستحيل

﴿العلوم والمعارف﴾ اما علومه في المجتمع والتاريخ والفلسفة فكانت متسعة وعميقة تجعله في صف اكبر العلماء الغربيين. وله كثير من الابحاث المفيدة في النشوء والارتقاء واسباب تفوق بعض العناصر والاجيال البشرية على غيرها وتأثير الوراثة في الاخلاق والعادات الى غير ذلك مما حمل الكثيرين على عده اول عالم عربي عصري ومنهم الاستاذ حبيب كاتبه فقال: «ادعو البستاني اول عالم عربي عصري لانه اول من ادرك سر العلم الانتقادي الغربي فامتاز بذلك على معاصريه مثل عمه بطرس واليازجيين وغيرهم حتى وجرجي زيدان الذي اعده ثانية» (١). وهذه دائرة المعارف اصدق شاهد على ذلك وقد اصدر منها بمعاونة ابناء عمه نسيب ونجيب ثلاثة اجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر وكانت له اليد الطولى في ذلك العمل الكبير. وان من عرف شغفه بالتنقيد ومحبته للعلوم منذ صباه وملازمته للمرحوم المعلم بطرس يقدر

(١) حبيب كاتبه سليمان البستاني اول عالم عربي عصري - الاخلاق (حزيران ١٩٢٥)

ان يقول مع السيد وليم كاتسفليس

«ان المرحوم سليمان حتى في الاجزاء التي ظهرت قبل وفاة عمه بطرس في جمعها وترتيبها اكثر مما لعمه. واني اذكر ان المرحوم قال لي هو نفسه انه كان يشتغل ليلاً ونهاراً بجمع المواد وتبويبها وعند اكتمالها كان المعلم بطرس يراجعها فيحذف منها او يزيد عليها بعض المواد ويجهزها للصف. وانتم يا تعلمون من تواضع المرحوم سليمان تذكرون انه لم يذكر ذلك من قبيل المفاخرة بل جواباً على سؤال مني جعلته بقالب يقتضي هذا الجواب. وفي عرفي ان اشتغاله بجمع المواد المذكورة وهو في ريعان الشباب فتح العقل والنفس لاقتبال البذور الطيبة وهو ما جعله في المنزلة العالية الكبرى التي نالها في عالم الادب ليس فقط بما اكتسبه من المعرفة في ذلك العمل الشاق بل لانه اتخذ عادة البحث والتنقيب والمثابرة بلا ملل على الدرس فاصبحت فيه طبيعة ثانية» (السائح ٢٢ حزيران ١٩٢٥)

ومن نتائج هذا التعمق في الدرس تلك المقدمة الخالدة للالياذة التي شبهها الكثيرون بمقدمة ابن خلدون ونسبتها الى تلك المقدمة من حيث دقة البحث هي، على قول المقتطف، كنسبة العلم في هذا العصر اليه في عصر ابن خلدون

﴿اللغات﴾ وقد ساعد الفقيد على التوسع معرفتهُ الكثير من اللغات فقد كان يتقن العربية والتركية والفارسية والانكليزية والفرنسوية وله في جميعها مؤلفات ومقالات. وكان يتقن ايضاً اليونانيَّة الحديثة والقديمة والسريانية. ويعرف اللاتينية وفروعها كالايطالية والاسبانية. ويُلمُّ بالالمانية والروسية والهندية والعبرية. فهذه خمس عشرة لغة عدا السن القبائل العربية المختلفة كاللسان المعروف بالنَّوَري وغيره

ومما يروى عنه انه استُقبل مع نوَّاب العرب في الاستانة سنة ١٩٠٨ فخطب باللغة العربية وثنَّى بالتركية كي لا يمس حاسة الاتراك. وطلب اليه ممثلو الدول الاجنبيَّة ان يفهمهم ما يقول فتكلم باللغة الفرنسوية والانكليزية بفصاحة نادرة. ثم رغب اليه اليونان وقد عرفوه معرب الالياذة ان يتكلم لغتهم ففعل. فسيرَ به محمولاً على الاكفّ الى المجلس...

٢ رجل الادب

ان الكلام على صفات رجل الادب ومزايا الكاتب والشاعر والخطيب والصحافي يتطلب بحثاً طويلاً يضيق عنه نطاق هذه المجلة. ولهذا فاننا نترك ذلك لفرصة اخرى

مكتفين الآن بذكر مؤلفاته مع بعض معلومات عنها :

١ ﴿دائرة المعارف﴾ طبع الجزء التاسع منها سنة ١٨٨٧ والعاشر سنة ١٨٩٨ والحادي عشر سنة ١٩٠٠ وقد تقدم بعض افادات عنها

٢ ﴿الاعتزال﴾ نشر هذا البحث في دائرة المعارف سنة ١٨٨٧ ثم طبع على حدة

٣ ﴿الالياذة﴾ نُشرت سنة ١٩٠٤ مترجمةً شعراً مقدمةً ببحث جليل في ٢٠٠ صفحة كبيرة عن سيرة هوميروس وشعره وآدابه والشعر اليوناني ومقابلته بالشعر العربي وآداب الامتين ومستقبل اللغة العربية الخ . . . وعليها شرح ادبي تاريخي اجتماعي . والالياذة اهم عمل اتاه البستاني بل اعظم كتاب عربي ظهر في القرن العشرين فتلقتها الاندية الادبية الشرقية والغربية بغاية ما يمكن من السرور والارتياح وقال عنها الكثيرون من المستشرقين وفي مقدمتهم مرغوليوث المستشرق الانكليزي انها اصحّ ترجمات الالياذة واشدها مطابقةً للاصل مع انها تُرجمت شعراً . واذ ظهرت الالياذة بمقدمتها الجليلة قرّر المجمع العلمي اليوناني في اثينا ان تُترجم المقدمة العربية الى لغته وتُطبع دائماً مع الاصل اليوناني . واذ انتُخب البستاني نائباً عن بيروت دعاه ملك اليونان الى المرور باثينا وقال : « اذا قصّرنا في استقبالك فانّ تماثيل فلاسفة اليونان المنتشرة في شوارعنا ترحّب بك » . وطالع الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بعض مقاطع منها قبل نشرها فقال : « ان هذا الاثر النفيس الذي لم يظهر على عهد بني العباس اظهره البستاني على عهد عباس » (واراد به خديوي مصر) وقال ايضاً : أنا اجهل اللغة اليونانية ومع احترامي لهوميروس لا اقدر على الحكم في شاعريته . . . ولكن اذا كان شعره باليونانية يُضاهي شعر البستاني بالعربية فانا اول من يقرّ بعظمته » . . . وهذه حادثة تظهر اعتبار معرّب الالياذة في المحيط الغربي :

كان في لندرا اثناء زيارة وفد النوّاب العثماني لها وكان رئيساً لذلك الوفد فاراد زيارة المكتبة الوطنيّة فقصدها وارسل لمديرها بطاقتهُ وعليها صفتهُ السياسيّة وجلس منتظراً . وما هي دقيقة حتّى رأى المدير مُهَرولاً نحوهُ فاستقبلهُ بكل اكرام وبعد السلام قال المدير : « ألك نسيبٌ البستاني معرّب الالياذة ? فقد سمعت انه سائح في اوروبا اليوم » فابتسم سليمان وقال : « نعم انا نسيبٌ له وهو سائح في اوروبا » فقال

المدير : « الله في انكلترة ولم نعرف بذلك؟» فقال سليمان : « واظنه ايضاً في لندرا » ثم زاد ابتساماً . فانتبه المدير وقال : الله انت ؟ فقال : نعم . عند ذاك ظهرت علامة تأسف على وجه المدير وقال : «What poor change!» ومعناه : «يا له تحوُّل تاعس» ومراده ان من التعاسة ان يتحوَّل معرّب الالياذة الى رئيس الوفد التركي !!!

ومن اراد زيادةً في وصف الالياذة وما احتوت عليه فليطالع المقالة النفيسة التي نشرها في انتقادها حضرة العلّامة الاب خليل اده اليسوعي في اربعة اعداد من مجلة المشرق (٧ [١٩٠٤] : ٨٦٥؛٩١١؛١١١٨؛١١٣٨)

٤ ﴿عبرة وذكرى﴾ طبع سنة ١٩٠٨ وقد وصفناه في قسم «رجل السياسة»

٥ ﴿الداء والشفاء﴾ قصيدتان طبعتا طبعةً ثانية سنة ١٩٢٠

وللنقيد من المؤلفات غير المطبوعة :

٦ ﴿تاريخ العرب﴾ وهو يقع في اكثر من الف صفحة كبيرة يبحث فيه عن العرب واحوالهم وامورهم وعاداتهم مما اطّلع عليه بنفسه اثناء رحلاته العديدة

٧ ﴿مذكراته﴾ كان يكتبها باللغة الانكليزية وفيها ذكر اسفاره التي شهدها بنفسه والآراء الكثيرة من سياسيةٍ وفلسفية وادبية وهي كنز ثمين نرجو ان تُتحف به لغتنا في القريب .

٨ (ديوان شعر العرب الحاليين) وقد جمع فيه ما سمعه من اشعار العرب اليوم منظومة بلغات القبائل المختلفة . . والكثير غير ذلك من القصائد مثل «الذئب والغفران» و«الخيبة والرجاء» و«الخيانة والوفاء» و«الترك والعرب» والابيات المفردة والمقالات بالعربية والفرنسوية والانكليزية والتركية .

***

هذا هو سليمان البستاني وقد اجتهدتُ باظهاره للقارئ الكريم كما هو ولستُ بموفيه حقَّهُ مهما اطلتُ الكلام . ولكن هي نافذةٌ افتحها على ذاتيَّة البستاني الكبيرة فيرى منها اللبناني عظمة تلك النفس وقوَّة ذاك القلب واضطرام تلك العاطفة في محبة القريب والنجاحه

لقد كان قلب البستاني كبيراً ابني قومه واسعاً لافادتهم مفتوحاً لاستقبالهم جميعاً فافاض عليهم نور المعرفة صافياً وعمل لتخليد اسمهم بين الامم ...

ومن افاض النور فهو نيّر ساطع ! ومن عمل للتخليد فهو خالد !

القبعة على رؤوس الاتراك والعرب

نظر اخلاقي للاب لويس شيخو اليسوعي

يعلم قرّاؤنا ما تقدّم به رئيس الجمهوريّة التركيّة في انقرة لرعايا دولته فامر ان يجعلوا على رؤوسهم القُبّعة تشبّهاً بالامم الاوربيّة وبهِ زال آخر ما بقي من المميّزات للاتراك عن سواهم في الملابس

فاستاء كثيرون منهم لهذه الاوامر المشدّدة التي لم يُعفَ منها احد من صغار او كبار من طلبة المدارس او ارباب الدين فجرى لهم اليوم ما جرى قبل مئة سنة لمّا جعل السلطان محمود الثاني الطربوش شعاراً للاتراك فامتعض كثيرون غيظاً لذلك وكادت تقع ثورة في الجند والشعب من جرّائه . وها هوذا اليوم قد أُلقي الطربوش عن هام لابسيهِ فنزل من مرتبتهِ السابقة وغلبت عليهِ القبعة الفرنجيّة كما غلبت سابقاً على الملابس الشرقيّة الواسعة البهيّة ثيابُ اوروبّة الحرجةُ الضاغطة . امّا القلباق فكان ملكهُ قصيراً ونطاقهُ ضيّقاً

ولسنا نحن لنؤاخذ رجال انقرة على ما يفضّلونه من الازياء في الملابس . فانّ الازياء تختلف من عهد الى آخر على اختلاف اذواق لابسيها فيُستحسَن اليوم ما كان يستقبَح أمس وربّما عاد اللابس الى ثياب اجدادهِ فانّهُ ليس جديد تحت الشمس

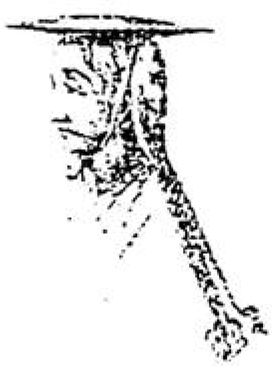
وقد سألنا بعض الآغاوات في الاستانة العليّة هل عرف قدماء العرب والاتراك قبعة الرأس وتزيّوا بها في سالف الازمنة . فنقّبنا عن ذلك في آثار مكتبتنا الشرقيّة فكانت نتيجة بحثنا انّ القُبّعة وان شئتَ فقل البرنيطة حكمت احياناً على رؤوس الشرقيّين من الترك والعرب

القبعة على رؤوس الاتراك

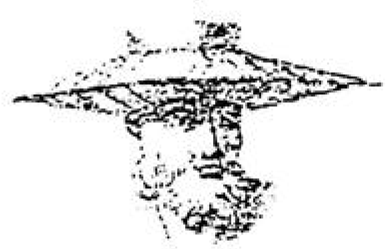
سواء اعتبرنا الاتراك في اصول تاريخهم اذ تفرعوا عن المغول وكانوا يسكنون في حدود الصين ام خصصنا بالنظر دولتهم التي بسطت حكمها على آسية المتقدمة وجدنا آثاراً منبئة بلبسهم القبعة ان لم يكن عموماً فعلى الاقل افراداً وانفاراً وفئات



٢ ١







٥ ٣

اتراك وعرب والقبعة على رؤوسهم

واول دليل على لبس قدماء الاتراك القبعة اختلاط قبائلهم في القرون السالفة باهل الصين والصينيون كما هو معلوم يلبسون القبعة الواسعة الاطراف المحددة الرأس ومنها اشتق الاوربيون اسم بعض آلات الطرب المعروفة بالقبعة الصينية

(Chapeau chinois). وترى في تصاوير اجيال المغول القديمة رجالاً تعلو هذه القبعة رؤوسهم . وقد نشر بعضها المستشرق الفرنسوي المسيو ادورد بلوشه (E. Blochet) في تاريخ المغول المنون بجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله

ولم ينفِ الاتراك لبس القُبّعة على رؤوسهم في عهد تاريخهم من زمن اورخان اوّل امرائهم الى القرون الاخيرة . لنا على ذلك شواهد في ما ورد عن السيّاح الاوربيين في انحاء الشرق . منها تصاوير رسمها الانكليزي ريكو اسكواير (Ricaut Escuyer) في تاريخهِ المسمّى بتاريخ الدولة العثمانيّة الذي نقلهُ الى الافرنسيّة المسيو بريو (Mr Briot) فطبعهُ في مجلّدين في مدينة كولونية سنة ١٦٧٦ فبين تلك التصاوير المثلة للابس الاتراك صورتان لبعض الاتراك في الاستانة على رؤوسهم قبعات اشبه بقبعات بعض الاوربيين في زماننا (اطلب الصور ع ٤،٢،١)

وأبيَنُ من ذلك ما ذكره السائح الهولندي نيبوهر (C. Niebuhr) في كتابهِ المنون بالسياحة الى جزيرة العرب . ففي طبعتهِ الفرنسويّة المنقولة عن الالمانيّة والمطبوعة في امستردام سنة ١٧٧٦ وصف ملابس اهل الشرق من اتراك وعرب (١ : ١٢٧— ١٣٦) وخصّ خمس صفحات رسم فيها ٤٨ من ملابس الرأس للذكور والنساء بينها ما رسمناهُ هنا (ع ٣و٥) وهما موسومان في اصل الكتاب بالعددين (٨و٤٧) فقال في وصف قبعة العدد ٣=٨ انّ الجاوشيّة في مصر يلبسونها ومثلهم بعض اعيان الضباط في القاهرة وطرفها مكسوّ بقماش ناعم وهذا قولهُ بلفظهِ (ص ١٣٠) :

«Grand chapeau des Esjaus et de quelques autrs Officiers de marque dans Kahira, le bord en est enveloppé de toile fine.»

وقال في وصف العدد ٥=٤٧ هي صحيفة من فضة او نحاس اصفر تعلو رأس المرأة مستديرة الاطراف ممكّنة على رأسها وهنّ يربطنها تحت الذقن

٢ القبعة على رؤوس العرب

انّ العرب في البادية قلّما يحملون على رؤوسهم ما عدا الكوفيّة والعقال . ولا عجب فانّ الكوفيّة مع تغطيتها للرأس يجوز ايضاً اتّخاذ طرفها لسترة العيون عن وهج الشمس فتقوم نوعاً مقام القبعة

امّا في الحضر فلا يستبعد اتّخاذ بعضهم للقبعة

فانَّ الجاوشيَّة الذين مرَّ ذكر لُبسهم للقبعة لم يكونوا كلُّهم اتراكاً وانما كانوا ايضاً من الوطنيّين وعرب الحضر

ومن الشواهد الحديثة ما افادنا بهِ الرحَّالة امين افندي الريحاني في رحلتهِ الاخيرة الى اليمن سنة ١٩٢٢ (ملوك العرب ١ : ٢٢٧–٢٢٨) انهُ وجد في طريقهِ من صنعاء الى الُحدَيدة قوماً من العرب يلبسون القبعات اي البرانيط قال:

« كنَّا نمرّ في طريقنا بنساء لابسات البرانيط وهنَّ يشتغلن مع الرجال في الحقول. والبرنيطة او الشَّبقة قديمة العهد في تهامة وبعض نواحي اليمن الاخرى، وهي صُنْع اهلها، يلبسها الرجال والنساء، وكلُّهم عرب وكلهم مسلمون. لكنَّ الشمس لا تعرف حدودًا في الجنس والدين، والانسان في مقاومته العناصر الطبيعيَّة لا يراعي التقاليد وهو ينبذها او ينساها لتمكنه من دفع العدوّ الهائل، بل من الدفاع عن الحياة

«وبايّ سلاح تحارب هذه الشمس شمس تهامة اذا اضطرَّك رزقك ان تشتغل او تسافر نهارًا. أبالكوفيَّة؟ وهي اذا تلثَّمتَ بها تدفع ثائر الغبار والرمال فقط. قد تقي العيون من وهج الشمس ولكنها لا تقي الرأس من سهام اشعَّتها الكاوية. امَّا العمامة فلا بأس بها لاصحاب التجلَّة والكرامة، للسادة والعلماء الذين لا يضطرُّون الى السعي في سبيل الرزق والرفاه. قد برهن اليماني التهامي في لبسهِ الشبقة على انَّ الغريزة في الانسان شرقيًّا كان او غربيًّا، مثلها في الحيوان واحدة لا تتغير. ومن عواملها الاولى حفظ الحياة والدفاع عنها. وقد احسن أيما احسان في صنع شبقة من القشّ متراخية النسج فلا تمنع الهواء واسعة الاطراف تظلّل الوجه عالية القبع تحفظ الراس من سهام الشمس »

فكفى بهذا شاهدا على انَّ العرب كما الاتراك لم ينفوا من ملابس رؤوسهم القُبَّعة. ولم يأتِ الاتراك المحدثون شيئاً إذًا إن عمَّموا اتخاذها في دولتهم

٣ اسماء القُبَّعة عند الاتراك والعرب

وممَّا ألقاه علينا السائل قولهُ: ان كان العرب والاتراك اتَّخذوا القبعة فبايّ اسم شاعت عندهم؟

﴿القبعة واسماؤها بالتركية﴾ اللفظة المخصَّصة عند الاتراك للقبعة هي الشَّبقة وهي كلمة مشتقَّة من اللغة الروسيَّة او الصقليَّة لكنها ترجع اصلًا الى اللاتينيَّة (Cap) ومنها (Caput) اي الرأس فأُطلقت على لبس الرأس وبنى الاتراك منها «شبقه لو» اي اللابس الشبقة و«شبق جي» اي صانع الشبقة وهم يكتبونها «چوبقه»

وجاء في بعض كتب السيّاح انَّ اسمها عند الاتراك «قاووق» وانَّما القاوزوق لا اطرافَ لهُ تستر العيون مع اختلاف اجناسهِ وهيئاتهِ

﴿اسماء القبعة بالعربية﴾ اسماء الملابس عند العرب مشتقة غالباً من لغات اجنبيَّة. فأطلق البعض على القبَّعة اسم القَلَنسوة واللفظة من اصل اعجمي شاعت منذ أيام الدولة العبَّاسيَّة وقد اختصرها العامَّة بالقلُوسة وهي في عهدنا على شكل اسطواني مستدير مطرَّفة او مقرَّنة في اعلاها

وأشيَع منها اليوم القُبَّعة ويخفّفونها بالقبعة وان كانت القُبَّعة في الاصل كما جاء في تاج العروس «خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان»

وكان ملبوس القضاة على رؤوسهم قبَّعة واسعة كما تراها في الشكلين ١و٢. وكانوا يدعونها بالدَّنيَّة لشبهها بالدَّنّ فتستر اطرافُها السفلى العيون

امَّا البرنيطة فهي طليانيَّة الاصل (barreto) او (borreto) اشاعها الايطاليُّون نزلاء اساكل الشرق في سوريَّة ومصر. ولعلَّ للبرنس اتّصالاً بهذا الاصل وهو يأتي بمعنى القلنسوة. قال في التاج: البرنس القلنسوة الطويلة. والله اعلم

وعلى كل حال يظهر ممَّا سبق انَّ القبعة ملبوس الرأس عند الفرنج اتخذها العرب والاتراك في بعض اجيالهم. وإن لبسوها اليوم يمكنهم الاستناد في لبسها الى تقاليد سابقة في أمتهم

سياحة رسولية في بلاد حوران

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي (تتمَّة)

الزبيرة والزباير

هما خربتان موقعهما جنوبي خبب بشرق في جرود اللجا وما بينهما مسافة بضع دقائق للماشي زرتُها فوجدت بين الصخور خيم اعراب اللجأ فدخلت خيمة احدهم فرحَّب بي على فقره المدقع وأقعدني على عباءته وقام يحمّص القهوة ويدقُّها ثم أغلاها

وسقاني وسائر الاعراب الذين اجتمعوا للقائي ومحادثتي وبعد ان شربنا القهوة سألني احدهم : من اين انت ؟ وماذا اتيت تفعل في حوران ؟

قلت : انا اتيت من زحلة الى حوران لاساعد المسيحيين فيها على اتمام واجباتهم الدينيّة

— ألست خورياً ؟

— بلى . لكني لست كسائر الخوارنة مربوطاً برعية بل انا خوري « رحالة »

— ومن يؤدي اليك حاجيات الحياة ؟

— انا اليوم في ضيافة الحورانيين يقدّمون لي الطعام والسكنى . امّا مصاريف سفري فلا يبخل الله عليّ بها اذ انه يلهم احد كرماء المسيحيّين في اسعافي وقد تكفي احياناً حسنة واحد منهم لتسد نفقة اسفاري مدة اشهر

— وبماذا تُكلّم الحورانيين ؟

— اكلّمهم براجباتهم نحو الله ليحبُّوه ويعبدوه ويخدموه فيئول مصيرهم الى السماء دار السعادة

ثم اخذت اتلو على مسامع البدوي وجماعتهِ وصايا الله العشر مضيفاً بعض التعليق على كل وصية . وكانت عيون هؤلاء المساكين تبرق إعجاباً عند سماعهم ما امرنا بهِ الله وما هو مكتوب في صفحات قلوبهم وهم يحثُّون بهِ وان يكونوا غير قادرين على الاعراب عنه : انا هو الرب الهك . . . لا تحلف باسم الله باطلاً . . . اكرم الوالدين . . لا تقتل . . . لا تزن . . . لا تسرق . . . الخ . فقال لي البدوي :

— ما اجمل حديثك ايها الخوري . واقترحَ عليَّ أن ابقى عندهم ليلتي فتُذبح لي ذبيحة وتشتدّ بيننا عُرى الصداقة والولاء

فقلت له : وان طلبتُ منكم ان تسمحوا لي بارشاد القوم كما أرشدُ الحوارنيين افتسمحون لي بذلك ؟ لعلّكم تزدادون مثلهم حبّاً لله وتستنيرون بمعرفة وصاياه

فتهلّلت لكلامي هذا بعض الوجوه وخاصةً وجوه النساء منهم . وقد طالما تاقت نفوس هؤلاء المساكين الى من يكشف لها شيئاً عن اسرار محبة الله لان ما عرفوه بمجرّد العقل البشري البسيط عن وجود الخالق ووحدانيته لايكفي ليحرّك في قلوبهم عاطفة الحب البنوي الذي افاضه الله فينا بكلمتهِ . الذي كشف لنا بتجسّده غوامض

اسراره المحيية. ولذلك مرّت القرون وانقشع ستر الظلام عن العالم مع انتشار نور المسيح. أمّا الاعراب فلا يزال معظمهم متسكعين في ظلال الجهل

وكاد القوم يتأثرون لكلامي لو لم يقطع حديثنا احدهم كان سبق فزار دمشق وعرف شيئاً من حياة اهل الحضر. فجرى الحديث عن اعراب اللجأ وتاريخهم فسألتهُ:

أتعرف من الذي هدَّ اركان هذه المدينة ؟ واشرت بيدي الى الانقاض التي حولنا

قال : همُ الكفار

قلت: انت تعني بالكفار المسيحيين الافرنج ؟ قال: نعم. فقلت: «انك لمخطئ بظنك في امرين : اولًا لان الافرنج لم يأتوا قط الزبائر واينما حلُّوا عمَّروا عوض ان يبيدوا والشاهد الفرق بين البلاد قبل دخولهم فيها وبعد. ثانياً لانهم ليسوا بكفار لا يرميهم بالكفر الّا الجاهل المتعصب وهم يعرفون الله وصفاته وكمالاته احسن معرفة ولولا تلك المعرفة السامية لمَا فاقوكم علماً وغنًى وقوةً لان هذه المواهب اصلها الدين وحيث النور هناك الاشعة والنهار وحيث الظلمة هناك العتمة والليل الاسود»

وأشعرت اذ ذاك انه حان وقت الرحيل فنهضت واخذنا نتجول بين الانقاض وهي عبارة عن جدران ضخمة طُبقت احجارها بعضها على بعض من غير ملاط. بينها بقايا برجين لا يزالان مرتفعين فيراهما الناظر من خبب. وكان سيرنا عسيراً جدًّا بين تلك الرجام ومنها ينقل الخبيبون الحجارة لبناء بيوتهم في القرية. واذا وجدوا حجرة قديمة منقوشة وضعوها في مرأى من النظر وقد ذكرنا بعض ما شاهدناه منها

اما الاثريون فلا يتفقون في اثبات اسمي الزبيرة والزبائر في الزمان الماضي ولعل تينك الناحيتين هما اللتان عُرفتا باسم مزرعة الخبّبين

بصير

قرية تحدُّها شمالًا «جباب» على بعد الساعة والربع للخيَّال واراضي الصنمين على بعد نصف ساعة. وغرباً قرية الصنمين على بعد الساعة للماشي. وجنوباً قرية خبب على بعد الساعة والربع. وشرقاً اراضي كريم وجباب. وهي تبعد نصف ساعة عن محطَّة خبب للخط الحديدي الحجازي

ومن المحتمل انها دُعيت ببصير لان النظر يمتدّ منها على القرى المجاورة لارتفاعها فوق سطح البحر فيشرف منها الناظر على كرنه وسنه وغباغب ودير البخت وكفرشمس والحارة وجاسم وانخل والقنية وتبنه والمحجة وبصرى الحرير والسويداء وخبب وسور اللجا

سكانها مسيحيون كاثوليكيون ملكيون كلهم وعددهم زهاء ٥٥٠ ومنهم ٧٠ الى ٨٠ مهاجراً لم يتوفق منهم باعماله الّا القليل · واصلهم من صلخد ومن عيالهم بيت ابي اللمع الصلخدي الاصل وبيت فلوح وهي الحمولة الكبرى تفرقت على مدى الايام الى بيت فلوح ومنها وناصر وسلمان ولها فروع في المادبا والسلط واسمهم الكرادشة · ولهذه الاسرة اثر كريم تاريخي نشرته مجلة المسرّة الغراء (سنة ١٩١٢) وهو رسالة حرّرها سنة ١٧٢٨ زعيم العائلة الخوري كامل فلوح من صلخد الى السيد افتيميوس صيفي مطران صيداء يسأله ارسال مرشد كاثوليكي الى حوران

وفي بصير مدرسة للذكور لها معلمان · وفيها بركة كبيرة يشرب منها الاهلون والمواشي لكنها تنشف في اواخر أيار فلا يبقى لشرب الاهلين الّا الآبار الخمس عشرة التي حفروها فيها · امّا المواشي فترد مياه جباب ويدفع عنها اصحابها ضريبة ثلاثين مجيدياً · ويزرع اهل بصير اراضيهم في تشرين ويحصدونها في ايار وهي تقسم الى ٤٨ حصة وتدير مئة فدّان

وفي شمال جباب وبصير يكرم الاسلام مقام النبي اليشع ولعلّهم بنوا اكرامهم لهُ على ما ورد في سفر الملوك الثالث (١٩ : ١٩ — ٢١) حيث قيل ان النبي ايليا سار في برية دمشق «والقي فيها اليشاع بن شافاط وهو يحرث وامامه اثنا عشر فدّان بقر وهو مع الثاني عشر فمرّ نحوه ايليا ورمى اليه برادنه فترك البقر وجرى وراء ايليا ·· وكان يخدمه »

وفي قرية بصير هذه مرت شرذمة من رجال الامير فيصل في غرّة تشرين الاوّل سنة ١٩١٨ وهم سائرون ليحتلّوا دمشق فنزل ناصر ابن عم الامير على احد سكّان القرية المدعوّ ناصراً فاضافهُ وحاول ان يذبح لهُ ذبيحة فلم يرضَ الامير واكتفوا بان غمسوا خبزهم في بطيخة قُطعت على صينيّة ثمّ ساروا حتى وصلوا تل مانع وهو جبل في شرقي الكسوة فاحسُّوا بطلقات مدفع عليهم وكان هناك عساكر من الاتراك

قد كمنوا في مغارة وجعلوا يضربون منها الاعراب . فوقف الامير ناصر فانتظر ريثما ينجده العسكر الانكليزي ليواصل سيره ويدخل دمشق

الصَّنَمَان(١

قرية الصنمين تعلو ٦٧٤ مترا فوق سطح البحر شرقيَّ بصير بشمال وتبعد عنها مسافة الساعة والنصف وهي بالقرب من الطريق الكبرى التي تصل دمشق بدرعا وكانت طريق الحج وهي الآن مستعبَدة عامة . وكانت عند الصنمين محطَّة للخط الحديدي الافرنسي مبنية بالحجر الصلب فخربها الصنميون ايام الفتن التي اثارها الامير فيصل . فلمَّا نشر الفرنسيون لواء الامن سخَّروا الصنميّين بنقل حجارة المحطة الى درعا لتستعمل في بناء الكنيسة الجديدة للقديسة جان دارك

زرتُ الصنمين في اوائل اذار فرأيت احواضها مملوءَةً ومنها تجري المياه آتية من سفح جبل الشيخ الى تبنه والمجحة . فيها بركتان واسعتان عمق مياهها خمسة امتار . وفي القرية كثير من الآثار القديمة تُرى على بعضها نقوشها المزخرفة الناطقة بحذق صَنَعتها . وفي القرية مدرسة للذكور لها استاذ واحد تقوم الحكومة بمعاشه

سكَّان الصنمين كلُّهم مسلمون سنّيون وعددهم يناهز الالفين اسم شيخهم فارس صالح الزغبي . ومن بيوتهم حَمُولة الفلاحات وزعيمهم الشيخ سعيد الفلاح . وحمولة القنوم وزعيمهم عبدالله الخطيب . وحمولة الدبابيين وزعيمهم حسين دياب وينتمون اصلًا الى الفلاحات . وحمولة الهيمد وزعيمهم محمد هيمد . وبيت كاش وزعيمهم سليمان الكلش ويقولون ان لهم اقارب في زحلة . ومن وجهاء الصنمين ايضاً خليل نصار ويعقوب الشتار وخلف اللباء

وفي القرية تكيَّةٌ معروفة بمزار الشيخ جبير . ومن غريب ما ذُكر لي ان المتصوفين من الاسلام الجباوية الذين اصلهم من قرية الجبا شمالي القينة لا يجترئون على المرور بالقرب من هذا المزار ما لم يكن معهم عصاً برأسه صليب او يكون بصحبتهم رجل مسيحي . ويروي الحورانيون ان «العجمي» ويعنون به صاحب المزار هو عدوٌّ للمتصوّفين ويظهر لهم بهيئة مرعبة وربَّما قتلهم او ألحق بهم اذى . فهذا لعمري سرٌّ

١) قال ياقوت (٣: ٤٢٩) : الصَّنَمان قرية من اعمال دمشق في اوائل حوران بينها وبين دمشق مرحلتان

لم نقف على حقيقته ومن المعلوم ان المتصوفين جماعة انقطعوا للعبادة فان كانوا حقيقة من الزهاد اصدقاء الله فاي خوف عليهم من صاحب الزار والقوم يكرمونهُ كولي ؟ ولماذا يخاف «العجمي» من اشارة الصليب او يهاب الرجل المسيحي بهيئة الصوفي ؟ — وفي الحقيقة انني صادفت على طريقي احد المتصوفين اللابسين الصوف الابيض فرأيت صليباً صغيراً اخضر مرسوماً على عمامته. فتصوّر!

وقرية الصنمين تقوم مقام المدينة اليونانية الرومانية القديمة المعروفة بآيريا (Ἀήρα) وفيها انقاض كثيرة يرتقي عهدها الى ايام الرومان والعصور المسيحية الاولى. ومن اهم آثارها برجان ومعبد اسمه تيكايون بُني اكراماً لالهة السعد (Τύχη) وفيها آثار كنيسة ملوكية قديمة تدل على ان آيريا كانت مركزاً لكرسي اسقفي وفيها كنيسة مشيّدة على اسم مار مكاريوس

تبنه

موقعها شمالي طريق دمشق الكبرى تبعد عنها نحو عشر دقائق تحدُّها قرية القنية شمالاً بغرب على مسافة ثلاثة ارباع الساعة وقرية المحجة جنوباً بشرق على بعد نصف الساعة وقرية بصير شمالاً على بعد ساعة وربع ومثلها خبب شمالاً بشرق وقرية الفقيع جنوباً على بعد ثلاث ساعات

وسكانها كلهم مسيحيون كاثوليك عددهم زهاء ٨٠٠ بيت منهم بيت عبيد وشناعة وبطرس والسماونة اصلهم من مجيدل في لحف اللجا اضطرتهم الفتن في اواخر القرن الماضي الى مبارحة بلادهم فاسكنهم هولو باشا العابد اراضي تبنه. ومنهم بيت قبلان وكانوا يُعرفون سابقاً بجوعان واصلهم من حلب

وفي القرية مدرسة للذكور لها معلمان. والاب راعي النفوس هو الخوري يوسف عسكر وقد سبقه في رعاية هذه الخورنية الاباء سليمان غنائم وابراهيم عوده والراهبان المخلصيان صمونيل وبولس قسطنطين ثم عبدالله مرقس وعبدالله سهيل

ولم نجد في تبنه من الآثار الّا نصباً اشبه منه بالعمود المربع الزوايا علوه يقارب متراً ونصف وعرضه ٣٠ سنتمتراً عليه نقش قديم ممحي ولعلّ الوثنيين كانوا يقدمون عليه بخوراً لاصنامهم

ويُرى الاهاون في شمالي القرية على بعد ١٠ دقائق منها اثار معسكر ابراهيم بن

محمد علي باشا الذي اقام في جوار تبنه وجرّ اليها الماء من الصنمين . وشهدت قرية تبنه بعض الحوادث المفجعة التي اثارها الامير فيصل بعد معركة ميسلون لمّا جاء الى درعا وحاول ان يلمّ فيها شعثهُ ليعود ويهاجم الافرنسيّين فجمع المشايخ وتآمروا سرّاً على قتل نصارى حوران . وفي غضونها خرج الوزراء من دمشق الى حوران لمفاوضة العصاة ووقف القطار بهم في خربة الغزالة فهاجمهم العرب وقتلوهم وتفرقوا في البلاد ينهبون قرى النصارى . حينئذ خرجت من دمشق قطارات مصفّحة وتقدّمت حتى محطة المحجّة فقطع البدو الخط الحديدي امامها ومن ورائها وارتقوا سطح كنيسة تبنه وجعلوا يطلقون الرصاص منه على القطار واضطرّوا اهل القرية الى الفرار ونهبوا اموالهم . وكاد الشر يتفاقم لولا قدوم الجيش الفرنساوي عن طريق غباغب فخاف العربان وولّوا الادبار وعادت السكينة وساد الهدوء والامن

ولمّا عاد اهل تبنة الى ديارهم وجدوها فارغة خاوية لا اثر فيها لاثاثهم واموالهم . ولم يشاؤوا ان يشكوا امرهم الى الدولة لئلّا يثيروا الضغائن على انفسهم بل اجابوا الى طلب العصاة الذين تزلّفوا اليهم ليحظوا بواسطتهم شفاعةً لدى العدل . وانّما اتّكلوا على الله لتعويض الاضرار التي لحقت بهم

على ان الله لم يهملهم لانهم عوّضوا عمّا خسروه بكدّهم واجتهادهم وتضافر بعضهم ببعض وما عتموا ان عادوا الى حالة الراحة التي كانوا عليها قبل الحوادث ووهب الله اراضيهم غلّاتٍ كفأتهم مؤونة العوز وساعدهم اخوانهم في المهجر على اصلاح حال الكنيسة فدُهنت وردّت اليها ايقوناتها

القنية

القنية قرية موقعها على مسافة ٥٠ دقيقة من تبنة شرقاً بشمال وجميع سكانها مسلمون لهم فيها جامع واسم شيخها محمود ابو رومية الحباذي . ومن زعمائها محمد الصلخدي ومحمود البكر واحمد العوض والزعرني والطوبتي . وفيها مدرسة للذكور عليها معلّم واحد . واراضيها ٧٨ ربعاً وهي اخصب من اراضي تبنة . ولم أرَ فيها من الآثار القديمة الّا بقايا صلبان منقوشة على باب بيت الشيخ

المحجّة

قرية اسلامية يقف القطار الحديدي عند محطتها الواقعة على ١٠ دقائق من بيوتها. يستحضر اهلها احجار الطاحون فيقتلعونها من جهات اللجأ ويشحنونها على القطار الحديدي فتباع في دمشق

وسكانها يبلغ عددهم ١٤٠٠ نفس زعماؤهم الشيخ عمر الطالب الحريري وسرور العقلة الصلخدي واهمّ حمولاتهم شحمه والمجاريش والسهاونه . وبين هؤلاء بطون وهم بيت العقده والجلده والواوي وكلهم صلاخده .

وجنوبي محطة المحجة فوق تلّ مزار «مقداد» للمسلمين . وفي القرية اثر جليل تدل بقاياه على انهُ كان كنيسة وهو عبارة عن مسكن واسع ذات ازوقة سقفهُ واطى محمول على قناطر ذات عواميد نُقشت عليها رموز نصرانية . وابوابه مصاريعها من حجر كان السكان اتّخذوهُ جامعاً لكنهم هجروه لجامع آخر ابتنوه وحصّنوه ليتحرّزوا فيه في وسط القرية من غارات الدروز لان بينهم وبين هؤلاء عداوة قديمة

ازرع

قرية كبيرة موقعها في شرقي الخط الحجازي بين المحجّة والغزالة وعدد سكانها نحو ١٢٢٥ المسلمون منهم ٧٠٠ واهمّ حمائلهم بيت عبيد ومنهم المختاران: نزال وعلي سليم . وبيت المفعلاني وأصلهم من ناحته غربي صما . وبيت الجبارين وهم من جبا وبيت خالد وهم من بشرة عجلون التي فيها قاضي القضاء . وهو الشيخ حسين عري الحريري . وازرع قائمقامية منذ ١٥ سنة والقائمقام منزله بالقرب من المحطة واسمه عبد القادر الكردي

وسكان ازرع الكاثوليك الملكيون يبلغ عددهم زهاء ٤٢٥ ومنهم ١٥ مهاجرًا بنيف ومن حمائلهم بيت العزام ولهم اقارب في مأدبا والسلط وجديدة مرجعيون والحصن انما اصلهم من ازرع . وبيت السالم واصلهم من هيت واليهم ينتمي بيت نُصير وحوش وبيت خليل الديشان وابي غيث واصلهم من عيون وبيت الغريب . وخوري الكاثوليك الحالي هو حضرة الاب الياس نصير وسبقه في وظيفته الخوارنة

يوسف كامل وابراهيم سالم ويعقوب سالم

اما الروم فعددهم ينوف على المئتين وما بينهم ١٥ مهاجرًا ومنهم المختار وهو عوض يوسف زيدان واصل عائلته من برقين في جبل نابلس. وبيت شحاده وازرعي وابرهيم اسعد وجبران جباره. وكان للروم كاهن يتولى شؤونهم الدينيَّة وهو الخوري يعقوب عساف مات نحو سنة ١٩٠٠ فامسوا مذ ذاك الحين بلا راعٍ. ثم جاءهم كاهن سنة ١٩١٩ وهو الخوري ايوب عويص العجلوني فخدم القرية ثلاث سنين ثم انتقل الى رحم لعدم قيام الرعية بمعاشه

ومما رُوي لنا عن تاريخ ازرع ان ممدوح باشا سنة ١٨٩٦ (٣١٢ رومي) فرَّق دروز ازرع في الجبل وكان الدروز اصحاب اراضي ازرع لهم فيها ٣٦ ربعة كل ربعة مساحتها ٣٢٠٠ دونم. وبعد ان غابوا عن ازرع عاد البعض منهم اليها بعد ٢٤ سنة فاستردُّوا دورهم. امَّا اراضيهم البالغة ١٠٧ ربعة فكانت الحكومة قد ضبطتها وآجرَتها: حصتين ونصف حصة للمسيحيين اعني حصة لاهل العيون ونصف حصة للهياتنة والعزام وحصة للروم وحصة ونصف للاسلام

وفي ايام الحرب العظمى قدَّم اهل ازرع للحكومة التركية في اول سنة ٣٥٠ مدًّا من الحبوب وفي ثاني سنة ٢٥٠ وفي ثالث سنة من الخمسين الى الستين مدًّا ونعاماً كثيرة

اما آثار ازرع القديمة فأكثر من ان يسعها نطاق هذه المقالة لانك اينما توجهت في البلدة رأيت كتابات يونانية منقوشة في الحجر وخاصةً بالقرب من الكنائس والبرج. تملأ رسومها صفحات عديدة من مؤلفات الافرنج الذين زاروا ازرع. على ان الاثر الاجلّ هي كنيسة مار جرجس فأن الكتابة المنقوشة عليها تدل على انها بُنيت على معبد وثني للاله ثياندريت بنفقة حنا بن ديوميد احد اعيان ازرع الذي تراءى له القديس جرجس بالحلم واوعز اليه ببنائها. ولعلَّ ذخائر القديس وُضعت في الكنيسة. ولا يزال البناء في الحالة التي كان عليها لمَّا شُيِّد سنة ٥١٥ م وهذه الكنيسة تُعتَبَر من اقدم البنايات التي صبرت في بلادنا على كوارث الزمان. وقنابل ابراهيم باشا لم تكد تؤثر فيها. أما رسمها فيشبه رسم كاتدرائية بصرى فهو مثمن الزوايا بصحن مربع والقبة فيها مركبة على قناطر. اما دائرتها الخارجية فيحدق بها رواق.

وفي اربع زوايا الكنيسة هياكل وفيها ضريح باسم القديس جرجس وهو موضوع اكرام المسيحيين والاسلام

دنيبه

تبعد قرية الدنيبة نصف الساعة عن محطة ازرع غرباً . ولولا قلّة ارتفاعها وتمام عمارها لخلتها قلعة حلب اذا نظرتَ عن بعد الى وجهتها الشرقية . عدد سكانها ٣٠٠ نصفهم مسيحيون روم وينتسون الى بيت نصرالله ومنهم شيخهم واصلهم من ازرع هجروها منذ ثلاثين سنة . والنصف الآخر مسلمون وهم بيت الزعبيه . والاراضي مقسومة ثلاثة ارباع للمسيحيين وربع للاسلام وحصة المسيحيين عبارة عن اربعين ربعة

ولمّا كنت ألقي عظات الرياضة في ازرع استهديت على الطريق الى دينيه فزرت شيخها المسيحي والتقيت ببعض الرجال فكلّموني ان آتي لأقيم بينهم الصلاة في بيت الشيخ وأسمعهم كلام الله لانهم كالخراف التي لا راعي لها ليس لهم كاهن وهم ابعد من ان يفتقد شؤونهم مطران الروم على حوران وهو مقيم في دمشق

فأجبتهم اني مستعدّ ان ابذل مجهودي في خدمة نفوسهم ان طلبوني من راعي الابرشية الشرعي السيّد نقولاوس القاضي وكان اذ ذاك في شقرى . . . نوّر الله عقل هذا الشعب وحرّك قلبه ليعرف الحق ويتبعهُ

وفي الدنيبة بعض الآثار منقوشة في الجدران تمثّل طيوراً وهي رموز مسيحية تشبه ما رأيناه في قبور شفاعمر في الجليل الاعلى (راجع مقالة الاب رنزفال (Mélanges de la Fac. Or., III, 33-43)

شقرى

كنا في ازرع لمّا وافانا كتابٌ من السيد المطران يدعونا الى شقرى لنساعده في سماع الاعترافات وهو كاد يختم الرياضة فيها . فلبينا دعوته وسرنا حتى دخلنا الكنيسة فاذا هي غاصّة بجمهور المؤمنين فقمنا بمهمتنا الرسولية

سكان شقرى كلهم مسيحيون يبلغ عددهم الاربعمائة ومنهم ٣٠ مهاجراً واخص بيوتهم بيت ابو زراع ورشيد وتراب وبدران وسهيل وعزام واصلهم من العيون

وكنيسة شقرى قديمة العهد حديثة الترميم اعتنى بها السيد نقولاوس القاضي فشاد قبتها مراعياً في البناء اصول فنها . وهي على فقرها حقيقة بان تجتذب السيّاح الذين يؤمون سورية للاطلاع على آثارها . وفي شمالي غربيّ شقرى برجٌ جميل بني على قناطر اربع هبط سقفه من عهد قريب لسوء الحظّ وبناؤه على الطرز السوري المعروف برصف الداماك بغير ملاط . يا ليت مصلحة الآثار في دمشق او بيروت تلفت نظرها الى هذه الانقاض الجليلة فتعتني بترميمها او بحفظها وتوجه اليها سير الزوار فتكون دونهم في حوران جزء من سياحتهم الى الشام . وان دخول حوران اصبح في غاية السهولة لان سكة الحديد تجتازه وطرقه تكاد تصلح كلها للسيارات

رسالة

الآباء اليسوعيين في حوران

اول من دخل منهم بلاد حوران لاعمال الرسالة في القرن التاسع عشر هو الاب بولس ريكادونا في اواخر سنة ١٨٣٤ . زارهم بصحبة الاخ هنز (F. Henze) وذلك باغراء القاصد الرسولي السيد يوحنا المعمدان اوفرني (J.-B. Auvergne) وكان سأل هو والطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم المرسلين اليسوعيين بالحاح ان يهتموا بشؤون الملكيين الكاثوليكيين في حوران لانهم ما كانوا رأوا مرسلين منذ اجيال . وكانت حالهم بغاية الانحطاط المدني والديني وكان المسلمون يعاملونهم معاملة الرقيق لا كهنة لهم ولا كنائس ولا مرشد يرشدهم ولا رادع يردعهم حتى كان الكثيرون يجهلون وصايا الله ويستبيحون القتل والسرقة شأن الاعراب في البادية

فلما ظهر الاب ريكادونا ورفيقه بينهم وقالا لهم انهما اتيا يتفقدان شؤونهم من طرف الاب الاقدس حرّكا القلوب حناناً وإعجاباً وكتب سكان قرية هيت الى الاب ريكادونا الرسالة الآتية :

« نعلمكم اننا الفان من الكاثوليك نسكن في البصرى وبطانية ونعيش بين العرب كالحملان بين الذئاب وليس لنا معلم يقشع عنا ظلمات الجهل ولا طبيب يداوي جراحاتنا . اما اليوم وقد علمنا انكم اتيتم من جبل لبنان مرسلين من الكرسي الرسولي فاننا نوقفكم على احوالنا وانتم الآن اعلم بنا . نقبل ايديكم مرةً ثانية وثالثة »

وواصل الاب ريكادونا رحلته الرسولية الى جنوبي بصرى لكن الحمّى كانت قد

تسلطت عليه منذ اسابيع فانهكت قواهُ فاضطرَّ للرجوع الى الشام

وفي ١٧ تشرين الاول سنة ١٨٣٦ تجهز الابوان بلانشه (B. Planchet) واستاف (R. Estève) (١ للتجوُّل في حوران والاطلاع على شؤونها. وكانت احوالها قد اصطلحت نوعاً منذ زيارة الاب ريكادونا . فوجد الابوان في قرية الهيث كنيسةً للملكيين وكاهناً غيوراً يخدمها وكانت قرية نجران المؤلفة من ٤٠٠ مسيحي قد حظيت بكاهن جديد عوض كاهنها القديم المتوفى. انما كان محل الاجتماع للصلاة غير لائق وهو ضيق مهدوم السقف متداعي الجدران لا تزينهُ صورةٌ مقدسة الّا ايقونة حقيرة وُضعت في كوة اتَّخذوها بمثابة هيكل . وكان اسقف حوران السيد كيرلس الصيداوي من الرهبانية المخلصية قد جاء حديثاً وسكن خبب وهي اعظم القرى المسيحيَّة في حوران ودعا اليه المرسلين وقد ذكرهُ الاب بلانشه فقال

«قد استقبلنا الاسقف بغاية الوداد فوجدناه غيوراً على رعيته صبوراً على ضيق العيش وشظفهِ رغب الينا بالحاح ان نبقى عنده. واننا نوددنا لو اتيح لنا ان نقضي ايامنا بمعيَّته لنشاطرهُ المتاعب والمشقات لكن ادير تنا في لبنان تضطرُّنا الى الرجوع .على ان امنا وثيق بانه سيقوم باعمال كثيرة تؤول الى خير ابرشيته

ولم ينفك المرسلون عن الجهاد في سبيل اولئك المسيحيين المهملين وكان الاب استاف يطبّب المرضى . وكان الحورانيون ينقادون الى مرشديهم فيتعلمون حقائق الدين بسرعة

وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر تجدَّدت الدعوة الى الآباء اليسوعيين بفتح دير في حوران عن لسان السيد باسيليوس حجار وبواسطة جمعية انتشار الايمان فسافر الابوان نورمان (R. Normand) وبورتلي (R Portelli.)وبلغا جبل الدروز واستقصيا اخبار المسيحيين فسُرَّا بما رأياه فيهم من تقوى. وسذاجة اخلاقهم سواء كانوا من الكاثوليك او من الاخوة المنفصلين وقد تحققا ضرورة الانعكاف على تبشير هؤلاء المساكين المتسكعين في ظلمات الجهل بانور الدين اذ لم يكن في كل حوران الّا ٧ او ٨ كهنة يقصرون همَّتهم على خدمة ستة من القرى. امَّا سائر

---

١) الاب استاف هو الذي اشتهر في لبنان وخصوصاً في بكفيا باسم الاب سليمان. وعُرف الاب بلانشه باسم الاب مبارك وأُرسل كقاصد رسولي الى ما بين النهرين

المسيحيين المتفرقين في القرى بين الدروز والمسلمين فليس لهم من يهتم بامور دينهم

فقرّ قرار الرؤساء على انشاء رسالة في حوران فتوجه اليها سنة ١٨٨١ الاب ارسانيوس مرل (Merle) تمهيدًا لافتتاحها. وفي غضونها كان الشعب هائجاً على راعيه السيد باسيليوس حجار لزعمهم انهُ جمع في اوربة واميركة حسنات واسعة لرعيَّتهِ لم ينالهم منها شيء. فتهدَّد اعيان الطائفة رئيسهم بالانفصال وانجز البعض منهم قولهم بالفعل

فما ظهر الاب مرل بين الحورانيين الَّا وهدأت الخواطر واخذت المياه تعود الى مجاريها. وانضمَّ المرسلون الى السيد المطران لاحياء الحياة الدينيَّة بينهم بانشاء المدارس وتدبير شؤون الكنائس ففتح الاب مرل مدارس في قرى خبب وتبنه والهيث في شمالي جبل الدروز. ثم رمى بنظره بعيدًا وامل انه يستميل قلوب الاعراب في البادية فاقام مدرسةً لقبيلة بني هجين المجاورة للمسيحيين

ولما حان الوقت لانشاء دير في حوران نظر الاب مرل الى قرية في وسط اللجا تسمى الدامة العليا وكان فيها زهاء عشر أُسر مسيحية واربعين درزية فاقام فيها مركزًا للرسالة ودعا الدير الحديث بدير سيدة اللجا فوافاه الاخ الياس حنوش ليسعفه بتدبير شؤون الرسالة ثم اتاهما كاهن ثانٍ فاصبحا ثلاثة في ديرهم

واخذ كرم الرب يأتي باثمار شهية فكان كل من الاباء يغيب بدوره ليتفقد احوال الرعية ويتجوَّل في القرى فيلقي عظات الرياضات ويسمع الاعترافات ويزور المدارس ويتداول مع الحوارنة فيما يخص مصالحهم . وكادت تلك الحركة المباركة تسير سيرها الحسن لولا الفتن التي حالت دون مواصلتها

من المعلوم ان دروز حوران دخلوا الجبل اثر مذابح الستين حيث اضطروا الى الفرار الى «اللجا» لينجوا مما كانوا استحقُّوهُ من العقاب لفتكهم بنصارى لبنان. على ان حلولهم في سهول حوران ما عتَّم ان نفَّر قلوب العرب القاطنين في تلك الاصقاع لما جرى بين الفريقين من المزاحمة على استثمار غلات الارض فادّى النفور الى اشهار الحرب بينهما

وحفظ الاباء المرسلون الحياد في تلك المعمعة واقتصروا على مداواة الجرحى والمرضى. ومما يستحق ذكره ما كتبه اذ ذاك الاب مرل وكانت الضرورة قد الجأته

الى مزاولة الطب والجراحة فكثيراً ما كان يسحب الرصاص من الاعضاء ويقطع في ذات اللحم قال :

« ما من جريح تسهل مداواته على طبيب كالدرزي المكلوم. اقطع اقلع فكأنك تعمل بجسد ميت لان الدرزي يعتبر اظهار شعور الالم عاراً. فان مات قيل: ساعته المحتومة وان شفي قيل: نجمهُ. الّا اننا كنا نتألم لرؤيتهم يموتون براحة الضمير التامة كأنهم من الابرار الصالحين. عبثاً كنت احرّضهم على الندامة فكانوا يسمعون كلامي كأنهم يحلمون. وربّما كان السبب لرباطة جأشهم اعتقادهم بان الموت ليس الّا تقمّصاً. فان هم ليسوا باطهار فسوف يقضون حياتهم ثانيةً في ذات البلاد التي اتوا فيها وان هم بلغوا الكمال فتكون بلاد الصين مصيرهم حيث يجتمع الدروز الكاملون وسوف يخرجون منها تحت قيادة المهدي ليفتحوا الارض ويملكوا على سائر الامم مدى الابد !»

ولما اصبحت قرية الدامة العليا وجوارها ميداناً للقتال بين الدروز والاعراب وغدا المرسلون غير آمنين على حياتهم في ذهابهم الى دمشق وايابهم منها وهي التي كانت تمدّهم بمواد المعيشة الجأتهم الحالة الى نقل ديرهم الى محل اخر. وفي ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٨٧ شدَّ الاباء رحالهم وساروا بقافلة عدت ٢٥ جملًا الى قرية نجران وحلُّوا فيها وعادوا يواصلون اعمالهم الرسولية. وبلغ صيتهم احد مشايخ عربان البادية فارسل اليهم يدعوهم الى زيارته فاعتذر الاب مرل وقدم للشيخ صحبة رسله كتباً عربيّة بصفة هديّة

على ان الحكام الاتراك جعلوا يتشاءمون من نفوذ المرسلين في حوران فدسّوا الدسائس واخذوا يعرقلون سير اشغالهم ويهيجون القوم عليهم بينما كان سفير فرنسة في الاستانة يبلّغهم انه سوف لا يحرّك ساكناً في سبيل حمايتهم. فما اقاموا عامَين في نجران الّا اضطروا ان يجلوا عن البلاد ويعودوا الى دمشق ليجعلوا فيها مركز الاب الذي يُعهَد اليه فيما بعد امر تفقد شؤون مسيحيي حوران

تتابعت السنون منذ ذاك حتى ايام الحرب العظمى حيث طُرد المرسلون الافرنج وحكم على الباقين في البلاد بالاحتجاب وتعطّلت اعمال الرسالة في حوران. ولما حطت الحرب اوزارها وعاد الاباء الى ديورهم طلب السيد نقولاوس القاضي من الاب العام تسليم امر المدارس الى احد المرسلين مع مهمة تفقّد احوال الشعب الدينية. فتعيَّن الاب بيليسيه كزائر لمدارس حوران. وفي صوم السنة الحاضرة أوفد اثنان من

اليسوعيين لالقاء عظات الرياضات في القرى

ولعلّ امر انشاء دير في حوران كان دخل في حيّز العمل لولا الحوادث الاخيرة التي اوقفت مجرى الاعمال . على اننا لا نريد ان نختم هذه النبذة من دون ما نذكر اسمَي الابوين دي لاموط (de la Mothe) وفولوا (Foulloy) الشابين اللذين جاءا الشرق للقيام بالخدمة العسكرية وهما يعلّمان في كلية القديس يوسف فلمَّا ثارت الفتنة واضطرتها الى حمل السلاح سارا مع الحملة العسكرية للقيام بواجبهم الوطني فوقعا ضحية الواجب والشرف في اول موقعة جرت بين الدروز والافرنسيين

ونرفع الى ذويهما الكرام عواطف عزائنا واعجابنا بالشهامة الافرنسية الا اننا نتعزى لعلمنا انهما بدمهما الطاهر قد عملا في سبيل تحرير النفوس من رقّ الخطيئة اكثر من الذين قضوا سنين في الرسالة لانه ما من محبة اعظم من ان يبذل الانسان نفسه حبًّا بالله وبالقريب . وقد بذلا حياتهما لاجل خلاص النفوس التي من اجلها حملا السلاح طاعةً لارادة الله كما صرّح الاب دي لاموط في كتابٍ حرّرهُ بضعة ايام قبل وفاتهِ . وحيث شربت الارض دم الشهداء هناك تأتي باثمارها الغزيرة حقق الله الآمال

بيروت

اخبارها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث السابع

تاريخ بيروت في عهد مماليك مصر (١٢٩١-١٥١٥) (تتمة)

وفي ايام الاشرف ناصر الدين شعبان سنة ٧٦٧ (ايلول ١٣٦٥) غزا ملك قبرس هوغو الرابع دي لوسنيان ثغر الاسكندرية في سبعين مركباً ودخلوا المدينة ونهبوا اسواقها وبيوتها وقتلوا جماعة من اهلها وحرقوا باب رشيد ثمَّ اقلعوا الى جزيرتهم . فارسل

الاتابكي يلبغا العُمَري الاوامر الى الامير بيدمر الخوارزمي بالتوجّه الى بيروت وتجهيز اسطول كبير من غايتها افتتح قبرس قال صالح بن يحيى في تاريخه (ص٥٢–٥٣):

« فحضر (بيدمر) الى بيروت واحضر صنّاعاً كثيرين من سائر الممالك فكانوا جمّاً غفيراً وقيل انهُ لم يُعهَد قط عمارةٌ مثلها عظماً وسرعةً وكثرة صنّاع وقوّة عزم . فعمّر بيدمر بظاهر بيروت مسطبةً وعُرفت بهِ الى اليوم. وكانت المراكب تُعمَل بها على بُعد من البحر. وحضر عسكر الشام متجرّداً فأنزلوه فيما بين البحر والمراكب حذراً من مراكب صاحب قبرس لئلّا يحضر العدوّ حين غفلة فيحرقوا ما يُعمَل من المراكب. وكان نائب الشام في ذلك الوقت أقتمر عبد الغنيّ. ولمّا توفي يَلبُغا العُمَري في ليلة الاحد العاشر من ربيع الآخر ٧٥٨ (اواسط كانون الاوّل ١٣٦٦) أُبطلت العمارة المذكورة ولم ينزل من المراكب الى البحر سوى حمّالتين كبيرتين الواحدة باسم سُنقر والثانية باسم قراجا وهما اميران من امراء ذلك الوقت. وكان الامير بيدمر قد استعجل القومَ على عمارتها ليجهّزها فيحضرا صواري وقرايا ومقاذيف لباقي الشواني التي يعمّروها. ثمّ بقيتا بعد ذلك في ساحة بيروت حتى تلفتا. وكذلك تلفت بقية الشواني التي لم تنزّل الى البحر تحت المسطبة المذكورة. وكان قد صُرف عليها مال كثير فذهب سدًى لم يُستفَد منها سوى الحديد بعد ما اخذت الناس منهُ شيئاً كثيراً»

والحق يقال ان بيروت كانت في حاجة الى اسطول يردّ عنها غارات القرصان من جنويّين وبنادقة وكتلان وبيزان الذين تهدّدوا المدينة غير مرّة وكادوا يستولون عليها . فممّا ذكرهُ المؤرخون نزول الجنويين الى بيروت في السنة ٧٨٤ هـ . وقد روى الخبر صالح بن يحيى بتفاصيلهِ فننقلهُ عنهُ بالحرف لما فيه من الفوائد التاريخيّة ومن اوصاف بيروت في عصر المماليك المصريين قال (ص ٥٣–٥٥):

« في العشر الاوسط من جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وسبعمائة (١٣٨٢م) حضرت تعميرة الجنويّة الى صيداء فاخذتها وجاءت الى بيروت وكانوا سمعوا في دمشق بخبر حضورها الى صيداء. فقال ملك الامراء بيدمر: صيداء ما بقينا نلحقها لكننا نروح لنلحق بيروت: فوافق حضورُ العساكر الشاميّة الى بيروت حضورَ التعميرة فلم يتعرّض اصحابها للنزول الى البرّ وتوجّهت التعميرة الى جهة قبرس والماغوصة

« ثمّ رجع العسكر الى دمشق وتأخر منهُ شرذمةٌ وجماعة من الامراء . . . ثم انّ التعميرة المذكورة آنفاً غابت اياماً قلائل وعاد الجنويّون الى بيروت بعد ان تركوا في الماغوصة بعض مراكب صغار ومراكب نوافذ كسبوها من صيداء. وفي طريقهم مع ماكانوا غنموه من صيداء. فحضر الى بيروت اثنا عشر غراباً كبيراً ودخلوا الميناء. وكان فيها قرقورتان للبنادقة فاخذوهما وشحنوها بالرجال وقدّموها حتى تمكّن الرُّماة منهم بالجروخ والحجارة من صواريها على برج بيروت الصغير البطلكي. ولم يكن في ذلك الوقت بُني البرج الكبير وكان مكانهُ خراب

قديمة. فرمى الفرنج المسلمين بالجروخ والمدافع فتنحّى المسلمون عن قبالة الفرنج واستتروا بالحيطان فتقدّمت شواني العدوّ الى البرّ ما بين البرج الصغير والخراب التي كانت مكان البرج الكبير ونصبوا صقالاتهم من الشواني الى البرّ. ونزل منهم شرذمة كبيرة وعليهم مقدَّم من كبارهم وبيده سنجق وصعدوا في الجونة الى جهة الخراب لينصبوا السنجق على علوة اشارةً منهم انّهم تملّكوا البلد. وشرعوا ينزلون من الشواني شرذمةً بعد أُخرى فهجمت فرقة من المسلمين مع الوالد (١ على الذينْ معهم السنجق فقهروهم ورموا السنجق. فلما نظر الفرنج وقوع السنجق وقف عزمهم وقويت قلوب المسلمين فحمل منهم ذوو النخوات فانهزم من كان نزل من الفرنج وازدحموا على الصقائل فانقلب بهم بعضها فغرق منهم جماعة وقُتل جماعة وانكسروا شرّ كسرة. واستشهد في ذلك اليوم من المسلمين نفرٌ وجُرح جماعة. وكانوا قد كشفوا التعمير عشيّة يوم وصولها فاشعلوا النار ليلًا اشارةً لوصول الفرنج الى بيروت فوصلت النار بالتدريج في تلك الليلة الى دمشق فحضر يَيدَمُر نائب الشام الى بيروت عشيّة يوم الواقعة وتبعتهُ عساكر الشام فكان وصولهم بعد فوات الامر ولم يلحقوا القتال ولم يروا غير الشواني في البحر على بُعدٍ وهي راجعة الى بلادهم

ثمّ خلف المماليكُ البرجيُّون الجراكسةُ على مصر المماليكَ البحريين الاتراك سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٤م) فحصل اهل بيروت على الراحة مدّة حتى كانت السنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م). فانّ متملّك قبرس المدعوّ يانوس (Janus I) دي لوسينيان كان قصد ان يسترجع مدينة الماغوصة (Famagouste) من الجنويّة الذين كانوا افتتحوها سنة ١٣٧٢ في عهد بطرس الثاني. قال صالح بن يحيى بيروي في تاريخه هذا الخبر بما حرفهُ (ص ٥٥—٥٨):

«فبلغ الجنويّة ذلك فجهّزوا ليأخذوا منهُ قبرس فاصلح الرَّوادسة (اي فرسان رودس) بينه وبينهم على حكم ان يقوم لهم بمائة وعشرين الف دينار في نظير كلفتهم على التعمير. فتوجّهت التعميرة المذكورة الى العلايا (مدينة على ساحل بحر الروم) فلم يقدروا عليها فتوجّهت منها الى طرابلس وبها دَمَرداش (المحمّدي) نائبًا. فنزل الفرنج الى البرّ لكنّ المسلمين تكاثروا عليهم ومنعوهم الوصول الى المدينة فرجعوا الى مراكبهم مخذولين بالخيبة. ثمّ حضروا الى بيروت في العشرين من محرّم سنة ٨٠٦ (١٤٠٣م) فلمّا رآهم اهل بيروت همّوا بترحيل حريمهم واولادهم وامتعتهم فأُخليت بيروت من اهلها ولم يكن بها متولٍّ ولا عسكر مجرّد للحرب سوى امراء الغرب ومعهم بعض جماعة. وكان قد توحّش خاطرهم لظنّهم انّ في التعميرة خيولًا فخافوا من ذلك. فنزل الفرنج من الشواني الى البرّ في مكان يسمى الصنيطيّة غربي البلد في الرابعة من النهار وتملّكوا البلد ونهبوهُ واحرقوا الدار التي لنا على البحر والسوق القريبة من الميناء. وصار المسلمون يتجمعون شيئًا فشيئًا وجعل اصحاب النخوات يهجمون على من تفرّد منهم في الازقّة فقتلوا منهم جماعةً واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر. وحضر المتولي الامير يوسف التركمانيّ

---

١) يريد المؤلف صالحُ بن يحيى والدهُ يحيى

الكسرواني فاقام الفرنج في بيروت الى قرب العصر ثم رجعوا الى مراكبهم . وتتبع المسلمون بقيتهم

«وفي تلك الليلة توجهوا الى صيداء وتوجهنا قبالتهم في البر . فلما قربوا من صيداء على مسافة دون ميل من البلد نزلوا الى البر . وكان قد اجتمع على صيداء الشّران وغيرهم ولم تجسر الفرنج على الدخول الى البلد . . . ثم بعد ذلك اليوم توجهوا راجعين الى جهة بيروت قاصدين نهر الكلب ليملأوا منه ماء . وعين ملك الامراء الامير الكبير سودون الظريف (نائب الكرك) ليتوجه قبالة التعميرة ومعه امراء الغرب فوجدوا التعميرة متوجهة الى جهة بلادهم . . . ومن جملة ما نهبه الجنوية المذكورون من بيروت حواصل تجار لفرنج البنادقة بقيمة عشرة آلاف دينار . فبلغ البنادقة ذلك وانتصفوا من الجنوية نظيرها وازيد . وكان ملك الامراء قد رسم لمتولي بيروت ان يقطع رؤوس قتلى الفرنج وان يعمر على ابدانهم مسطبة على باب بيروت ويكتب عليها اسم ملك الامراء . وجهز الرؤوس الى دمشق ثم الى مصر فحصل في انفس الذين قتلوا الفرنج غيرة لنسبة المسطبة الى غيرهم فهدموها ليلاً واحرقوا ما كان بها من رمم الفرنج»

فترى من هذه الروايات ان بيروت كانت معرضة اكثر من سواها لغارات العدو فما كانت تستغني عن مراكب حربية تصونها من جهة البحر لانها على الرغم من تلك الغزوات لم يزل موقعها مركزاً مهماً . وذلك ما حدا سابقاً بالامير سيف الدين تنكز نائب الشام الى ان يبني لها برجاً عرف ببرج البعلبكية (يحيي بن صالح ٦١)

ولما تعين بيدمر الخوارزمي بعده كنائب الشام جدد سور بيروت على جانب البحر جعل اوله من عند حارة بني الغرب واوصله الى تحت برج تنكز وجعل بين السور والبرج باباً وركب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسمي باب السلسلة وعين له قوماً يحرسونه

وكذلك كانوا اقاموا يزكاً اي طلائع في مقابلة العدو وذلك منذ اوائل الثامن للهجرة والرابع عشر للميلاد قال صالح بن يحيي (ص ٦٢) :

«كانت جنود حلقة بعلبك تتجرد الى بيروت ابدالاً يبقى كل بدل شهراً . وفي السنة ٧٠٦ (١٣٠٦م) اقرّوا التركمان بكسروان وتداركوهم بثلاثة فارس وجعلوا دركهم من حدود انطلياس الى منارة الاسد على حدود مملكة طرابلس فكانوا يمنعون من يستنكرونه ان يتعدى دربند نهر الكلب الّا بورقة طريق اي وثيقة من المتولي او من امراء الغرب وجعلوا التركمان المذكورين ثلثة ابدال كل بدل يقيم في الدرك شهراً

(قال) وكان الملك المظفر تقي الدين عمر الايوبي صاحب حماة قد اوقف وقفاً على جماعة خيالة ورجالة برسم الجهاد وشرط عليهم بان يكونوا في اقرب المواني الى دمشق . فلما استوطن المسلمون بيروت بعد الفتوح الاخير استقرّ اقامة المجاهدين المذكورين بها لقربها من دمشق .

وفي ايام السلطان الملك الظاهر برقوق عُمّر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة فقرّروا به المجاهدين المذكورين . ومما قرّروه ايضاً اسرعة الدفاع عن بيروت أعلام نارية كانت تنبئ اهل دمشق باخبار بيروت في ليلة . كانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاوبها نار في رأس بيروت المنيفة ومنه الى جبل بوارش في لبنان ومنه الى جبل يبوس بوادي التيم ومنه الى جبل الصالحية فقلعة دمشق فكانت النار للحوادث بالليل وحمام البطاق وهو حمام الزجّل السيّار للحوادث في النهار هذا فضلاً عن البريد لنقل الاخبار »

ومع تحصين بيروت اخذ المسلمون يهتمّون بتزيينها بالابنية والدور الواسعة الفخيمة . لاسيما امراء الغرب الذين سيأتي ذكرهم . ومن البنايات التي كان انشأها الامير تنكز في بيروت خانٌ كبير وحمّام وصفهما ناصر الدين حسين بشعر رواهُ صالح ابن يحيى في تاريخ بيروت (ص ١٥٤ - ١٥٥)

وبعد خمود التجارة مدّةً في بيروت اخذت سوقها بالرواج . قال صالح (ص ٥٩) :

«ثم صارت بعض مراكب الفرنج تتردّد اليها قليلاً قليلاً . وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس فيرسل صاحب قبرس بضائعهم في شرتين كانتا له الى بيروت نقلةً بعد اخرى . وكان للقبارسة كُنُس ببيروت وجماعة من التجار يسكنون فيها ولهم خانات وحمامات»

وقد ذكر كتبة الفرنج انه كانت للبنادقة في بيروت كنيسة كبيرة على اسم القديس مرقس شفيع بلادهم . واردف صالح :

«ثم تكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج فجعل عمال الدولة عليها ضرائب الواردات والصادرات وهي تبلغ جملةً كثيرة . وكان على باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومشرف وشادّ (من مراتب ذلك الزمان) يوليهم نائب دمشق والمتوفر عن المرتّبات يُحمل الى دمشق»

تلك كانت حالة بيروت في عهد الملوك المصريين المعروفين بالجراكسة . غير ان النكبات التي توالت على الشام في مطاوي القرن الخامس عشر من حروب ومجاعات واوبئة ادّت بهم الى ضنك عظيم وخمول . ثم اخذت القرصان ترصد المراكب القادمة من بلاد الفرنج فتأسر ركّابها وتستصفي بضائعها فلم تعُد تقدم الى سواحل الشام الّا بكل تحرّز واحتراس فزادت احوال بيروت بؤساً . ودامت الحال الى عهد السلطان سليم خان الاول الذي فتح مصر وابطل دولة الجراكسة ثم استولى على الديار الشامية سنة ١٥١٧ فدخلت بيروت كبقية المدن السورية في حوزة ملوك بني عثمان

(لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Laurent d'Arce : L'Abyssinie. Etude d'actualité (1922-1924) *vol. in - 8°, Paris, Société d'Editions Géographiques, Maritimes et Coloniales, Prix* 5 *f*

الحبشة في الوقت الحاضر

انَّ سفر الامير تفاري ولي عهد الحبشة الى اوربَّة ألفت نظر العموم الى دولتهِ الشهيرة. وهذا الكتاب الجديد وضعهُ احد العارفين باحوال تلك البلاد فضمَّنهُ من المعلومات ادقَّها ومن الافادات اوسعها فدرس تاريخها وتأليف عناصرها واخلاق اهلها وغلّات اراضيها ونظام حكومتها وما جرى فيها من التطوُّرات المختلفة . وذكر دين سكانها وبيَّن ما للرسالات الكاثوليكية لديهم من النفوذ. وفصَّل ما بينهم وفرنسة من العلاقات والتودُّد وما يرجى للدولتين من المنافع المادّية والاقتصاديَّة بتوثيق عرى الولاء. فاصبح الكتاب كدليل حيّ لمعرفة احوال الحبشة لا غنى عنهُ لكل من يريد الاطلاع على امور تلك البلاد القاصية ل. ش

Carlo Pascal: Le Credenze d'oltretomba nelle letterarie dell'antichità classica, 2 *vols.*, 2[de] *éd.*, *G. B. Paravia et C[ie], Torino, Prix Lires* 21

معتقدات الامم بالحياة بعد الموت

هذا الكتاب ظهر لاوّل مرَّة سنة ١٩١١ في مجموعة « المكتبة المدرسية » في كاتانية فتهافت عليهِ القرَّاء ونفد بعد زمن يسير. ولا عجب فانَّ مؤلفه شحنه بنصوص قدماء الكتبة من الامم السالفة المثبتة اعتقاد اهلها بحياة تابعة للحياة الحاضرة. وكفى بها دليلًا على اجماع اراء القدماء في هذا الشأن الجليل وعلى بطلان اراء الملحدين والماديين بنفي وجود حياة اخرى . وهذه الطبعة الجديدة قد أُصلحت وزيد عليها معلومات جديدة كما أنها تزيَّنت بفهارس تسهل على الباحثين طلب ما يحتاجون اليهِ من المواد ج. ل

Hermannus Dieckmann: De Ecclesia, tractatus historico-dogmaticus, tom. II. De Ecclesiae Magisterio, *in-8°*, *Herder*, *Freiburg in Breisgau*, 1925, *Prix*. 11 *Marks* 50

درس لاهوتي نظري في تعليم الكنيسة

قد سبق لنا في عدد تموز (ص٥٤٩) وصف المجلّد الاول من هذا التأليف الجديد في الكنيسة لاحد علماء اللاهوت واساتذته في معهد فالكنبورغ. وقد بيّنّا ما تفرّد به الجزء الاوّل في تعريف كنيسة المسيح وانشائها ونظامها. وهذا الجزء الثاني يبحث عن الكنيسة من حيث أُقيمت من السيّد المسيح لتعليم الدين. وطريقته في هذا الجزء كطريقته في الجزء السابق فانهُ يفصّل اثبات قضاياه تاريخيًّا مباشرة بالسيّد المسيح في انجيله الطاهر ثمّ برسله الابرار ورسائلهم ثم يُلحق بآياتهم اقوال الآباء والمجامع والتقليد. فيستنتج من هذه الادلّة عصمة الكنيسة في تعليمها. ثم يفنّد ما شاع من اعتراضات الهراطقة والملحدين بخصوصها. ثمّ ينتقل الى اثبات عصمة الحبر الاعظم ويبيّن شروطها وحدودها وغايتها وضرورتها ويثبت كلّ ذلك تاريخيًّا فتلوح الحقيقة النظريّة بكل جلائها وتنفي من العقل كل ريب. وممّا يبيّنه دفعاً لكل سوء فهم ان الحبر الاعظم لا يخترع حقيقة جديدة بعصمته بل يقضي بصحّة الحقائق التي علّمها السيّد المسيح ورسله وانّما كانت محجوبةً فيزيل عنها القناع. ومن المسائل التي بحث فيها الكاتب ما لمعلّمي اللاهوت ولاسيما لمار توما اللاهوتي من حقوق السيادة في التعليم حتى ان الاحبار الرومانيين وخصوصاً لاون الثالث عشر حرّضوا جميع الاكليروس على اتخاذه كالمعلّم الافضل. ويبيّن المؤلف انّ هذا الامر البابوي يتناول المسائل الجوهرية التي يفوق على سواه في بيانها والدفاع عنها. وامّا القضايا الثانويّة فيجوز العدول الى غير رأيه بكلّ تصوّن واحتشام

الاب ف. تورنبيز

Oncle Joe: ABC du bricolage. Guide pour les amateurs de bric-à-brac, *Paris*, 1925, *illustré*, *Librairie Delagrave*

مبادئ فنّ السَّقَط

السَّقَط في اللغة ما لا خير فيه ويُدعى بائعهُ سقَطيًّا. فهذا كتاب مفيد يشرح هذا الفنّ شرحاً مدققاً ويبيّن كم من الارباح يمكن الانسان ان يكسبها ممّا يعدّهُ العموم

نفياً منفيًّا. فهذه صناديق محطّمة واخشاب مكسّرة وعُلَب وقطَع كرتون واحذية بالية واوراق متفيّة فكل ذلك واشياء كثيرة غيرها يستطيع الناس ولاسيما الفقراء ان يكسبوا بإحرازها واصلاحها وبيعها معاشهم . فمؤلف هذا الكتاب يرشدهم الى الاستفادة من كل هذا السقط ليرتزقوا به . وافادتهُ في هذه الايام اعظم من عهد آخر لغلاء الحاجيات

R. de Noter : Le Verger colonial. Guide pratique à l'usage des Colons des pays chauds. 1 *vol.,8° illustré*, 1915,*Paris, Société d'Editions Géographiques*

حياة الحيوانات على وجه البرور

انَّ معرفة الحيوانات المنبثّة على وجه الارض لم تبلغ بعد الى كمالها . وانَّما ترقّت ترقياً عظيماً بفضل الرحّالين الذين في السنين الاخيرة قطعوا الارض طولاً وعرضاً وبلغوا الى اقاصيها المجهولة سابقاً . فاتت معلوماتهم عن الحيوانات ممهّدةً لدرس عموميّ يتناول صنوفها واقسامها . وهذا ما حاول بيانهُ مؤلف هذا الكتاب فانَّهُ خصَّ نظرهُ بحيوانات البرور وتتبّع انواعها واقسامها في الصحارى والجبال وفي الاحراج والاغوار وفي الجزائر والانهار فيثبت ما لكل صنفٍ منها من الاخلاق والعادات ومن الائتلاف او الاختلاف ومن المنافع والمضارّ فيستفيد القارئ من هذه الاوصاف فوائد جمة بينما يجني منها لذّةً وتفكهة

L. Germain : La vie des animaux à la surface des continents. 1 *vol.in-12, 1924, Paris, Librairie F. Alcan.Prix,* 10 *f*

البستان الاستعماري

لو درى الفلّاح صاحب الملك خصّ دائماً قسماً من ارضهِ لجنينة يزرع فيها بعض الاشجار المثمرة واحرار البقول وهذا سرُّ غِنى الفلّاحين في فرنسة فقلّما يخلو بيت من بيوتهم من جنينة لنصب بعض الاشجار وزرع الحبوب والخُضَر . وها هوذا دليل جليل لاحد ارباب الزراعة وضعهُ خصوصاً لمواطنيه المستعمرين في البلاد الحارَّة يرشدهم الى زراعة بساتينهم لينالوا منها مرافقَ عديدة لهناء عيشهم وهو يخصّ نظرهُ بما لتلك المستعمرات من النبات والمزروعات

ج . ل

Mario Meunier : La légende dorée des Dieux et des Héros, nouvelle Mythologie classique. 1 *vol. in*-12, 1925, *Paris*, *Librairie de France*, *Prix* 10 *f*

اساطير الآلهة والابطال

انّ كتب الفرنج الادبيّة مشحونة بالتلميحات والروايات المشيرة الى اساطير اليونان والرومان وخرافاتهم الدينيّة. وقد وُضعت عدّة تآليف لتعريف كل منها لاسيما في المعاجم الكبرى. وقد احبَّ احد اساتذة الآداب المدرسيّة ان يجمع المعلومات المنوطة باخبار آلهتهم وابطالهم في كتاب خاصّ عرض فيه على صورة رواية خياليّة خواصَّ تلك المعبودات ومواليدهم واخلاقهم مجرّدًا اشخاصهم عن الفظائع المرويّة عنهم وعن الشهوات التي تشينهم وتذلّلهم في اعين العقلاء. وهو يجعل في افواههم كلاماً يطابق ما نسبوهُ اليهم من الكمالات ليقوموا بوظائفهم في السماء مع الآلهة وفي الارض مع البشر فيدرك القارئ ما قصده القدماء بتآليهم

Lucien Forgan : Tu trahiras! (roman): *Paris*, 1925 *Ed. Bossard Prix*, 7 *f*, 50

سوف تخون

سنة ١٩٢١ حكم مجلس انقرة بالاعدام على احد وجوه الجنود الذي كان اعداءُ مصطفى كمال رشوهُ ليقتلهُ. فهذا الحادث التاريخي دفع الكاتب لوسيان فورغان الى تأليف رواية خياليّة جعل بطلها المسمَّى جنجه (Gancça) باشا فاخترع لهُ سيرةً غريبةً في بابها جامعةً بين الاخبار الفريّة والتاريخ وهو يصوّرهُ في احوال شتى متنقّلًا بين الشرق والغرب مجترحاً ضروب الآثام الى ان يخون اربابهُ ويموت جزاءً عن مآثمه في انقرة بعد اعترافه بذنوبه ج. ل

'Alqama Ben 'Abada—Diwan accompagné du Commentaire d'Al-A'lam aš-Šantamri. Edité par Mohammed ben Cheneb. 1 *vol. in*-12 *Alger — J. Carbonel*

شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي للأعلم الشنتمري

علقمة بن عبدة احد فحول شعراء العرب في الجاهليّة لهُ ديوان تكرَّر طبعهُ

وهذه الطبعة الجديدة قد ضمَّنها الاستاذ الاديب محمَّد بن شنب شروح احد مشاهير اللغويين المعروف بالأعلم الشنتمري استنادًا الى خمس نسخ مخطوطة . فجاء الكتاب مضبوطاً بالشكل ضبطاً صحيحاً في الغالب . واضاف الى شرح الشنتمري في ذيل الديوان فوائد اخرى لغويَّة وادبيَّة وتاريخيَّة زادت الطبعة حسناً وجدوى . في آخر الكتاب جدول واسع الالفاظ المشروحة . فنشكر همَّة ناشر هذا الديوان ونوصي بكتابهِ محبّي اشعار العرب القديمة

P. L. Cheikho S. J.: Catalogue raisonné de la Bibliothèque Orientale: IV. PHILOSOPHIE ET ÉCRITURE SAINTE. *in*-4°, 1925, *pp.* 72, *Imprimerie Catholique* (*MUSJ. X*. 5

وصف مخطوطات المكتبة الشرقيَّة (الجزء الرابع)

يتناول هذا الجزء وصف ١٣٠ كتاباً من مخطوطات كليَّة القديس يوسف العربية منها ٨٠ للمخطوطات الفلسفية و٥٠ للمخطوطات الكتابية . فالفلسفية تشتمل على ما في المكتبة من تآليف فلاسفة اليونان المعرَّبة وفلاسفة النصارى والمسلمين . أمَّا الكتابية فتحتوي وصف المخطوطات المختصة بالاسفار المقدسة من العهدين العتيق والحديث . مع تعريف واسع لكل كتاب ومضامينهِ وخواصه وزمن دخولهِ المكتبة . وفي آخرهِ وصف بعض الكتب السريانيَّة والفارسيَّة في المنى المذكور ل . ش

E. Genest: Où EST-CE DONC ?: Dictionnaire des phrases, vers et mots célèbres. 1 *vol. in*-12, *XII*-308 *pp.*, 1925, *Paris-Fernand Nathan* :

اين قرأتُ هذا ؟

هو سؤال يسألهُ الانسان مرارًا ليتذكر اسم كتابٍ او كاتبٍ قرأ فيهِ او عنهُ بيتاً من الشعر او كلمة شهيرة او مثلًا فيأسف على نسيان اسمهِ . وهذا الكتاب وُضع للفرنسويّين خصوصاً ليوقفهم على ما فاتهم ذكرهُ وهو كمعجم مرتَّب على نظام حروف المعجم ج . ل

مختصر اللاهوت الادبي ليوحنا غوري اليسوعي

عرَّبهُ المطران يوحنَّا حبيب ونقَّحهُ الخوري ابرهيم حرفوش

الجزء الاوَّل طُبع في مطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٢٥ (ص ٨٩٣)

لا حاجة لبيان محاسن هذا المختصر وفضل معرِّبه . وقد شاع في انحاء بلادنا

الشرقيَّة بعد طبعته الاولى في المطبعة العموميَّة الكاثوليكيَّة (سنة ١٨٧٩-١٨٨٢). وهذه الطبعة تفوق على السابقة اوَّلًا بحسن طبعها بالحرف الاسطنبولي المسبوك في مطبعتنا. وثانياً بسعة موادّها و١٠ نُقل فيها من تصحيحات الآباء اليسوعيين على غوري مع ايضاحات شتى من مشاهير اللاهوتيين العصريين واحكام الدستور الكنسي الجديد ونصوص المجامع الطائفيَّة الشرقيَّة المثبتة من الكرسي الرسولي. وثالثاً بإجازة غبطة البطريرك الماروني الكلي الطوبى مار الياس الحويك. فلا يسعنا إلَّا الثناء على حضرة المتولي لهذه الطبعة الجديدة. على انَّ ثناءنا هذا لا يتناول كل فصول الكتاب وزياداته لانَّ تأليفاً مثل هذا لا بدَّ من زمن طويل لقراءته بالتدقيق وذلك ما لا يسمح بهِ الوقت القصير مع ضخامة الكتاب في نحو ٩٠٠ صفحة. وما يجب قولهُ اجمالًا انَّ غوري مع ما اصاب من عظم الشهرة وأُضيف اليهِ من التصحيحات قد عتق اليوم نوعاً ولعلَّهُ كان الافضل بل الاسهل تعريب احد التآليف الجديدة كنولدين مثلًا لاسيما طبعتهُ التي طبَّقها على الدستور الكنسي فتكلَّف حضرة المعرّب بمراجعة عددٍ عديد من اقوال اللاهوتيين عرق القربة وحشَّى بها متن الكتاب فصدر عن ذلك بعض الابهام بل سبَّب احياناً نقصاً في الشروح وبعض العثرات التي من شأنها ان تضلّل المستندين اليها كقول حضرتهِ مثلًا عن السكنى وشبه المسكن (ص١٨٨و١٨٩و١٩٠) التي تختلف شروطها في بعض المواقع. وغير ذلك ممَّا يستدعي مزيد ايضاح ويطول بنا ذكرهُ. وممَّا كان يحسن بهِ ان يبيّنهُ تعريف الطبعة التي يجب الرجوع اليها من تآليف الكتبة الذين استشهد بهم مع اختلاف زمن ومكان تلك الطبعات وكذلك كنَّا نودّ لو يُطبع في كرَّاسٍ خاصّ ما يتناول الوصيَّة السادسة كما يفعل اللاهوتيُّون في اوربة اذا كتبوا في اللغة الوطنية بل في اللغة اللاتينيَّة نفسها ي. م

الآداب العربية في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي (الجزء الثاني)

طبعة ثانية مصحَّحة مع زيادات شتى: المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٢٦ (ص ١٦٦)

قد عرف قرَّاؤنا هذا التأليف الذي اعدنا في العام الماضي طبع جزئه الاوَّل. وهذا الجزء الثاني قد تكرَّر ايضاً الآن طبعهُ. وقد اعدنا فيه النظر واصلحنا ما وقفنا عليهِ من

النقص وزدنا عليه معلومات جديدة . وفي آخره فهارس واسعة لاعلام الادباء الوارد فيه ذكرهم من مسلمين ونصارى ومستشرقين ممّن شاع اسمهم في الشرق والغرب في مدّة الثلثين السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر (١٨٧٠ — ١٩)

ذيل على كتاب الاشارة الى من نال الوزارة

عني بتحقيقهِ والتعليق عليهِ عبدالله مخلص

طُبع بالقاهرة بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي سنة ١٩٢٥

في اواخر العام الماضي وصفنا هـذا الكتاب الفريـد الراقي الى القرن السادس للهجرة وما يحتويهِ من الفوائد التاريخيّة الجمّة عن وزراء الدولة الفاطميّة . وهذا الذيل الحقهُ بهِ جناب الشيخ عبدالله افندي مخلص فنشر فيهِ ملحوظات جديدة استفادها من بعض التآليف القديمة او من كتابات المتقدمين واضاف اليهِ سبعة فهارس غاية في الدقة تقرب الى الباحثين مرادَ الكتاب . فنكرّر شكرنا لمن اتحفنا بهذه الطرفة الجديدة ونتمنى ان يستخرج من خزانة الكتب الخالديّة في القدس الشريف آثاراً تضاهي كتاب الاشارة نفاسةً

شعر الوجدان : من نظم الدكتور ابي شادي

جمعهُ ونشرهُ محمّد صبحي

طبع في مصر بالمطبعة السلفيّة سنة ١٩٢٥ (ص ١١٥)

الدكتور احمد زكي ابو شادي كهلٌ مصري في عزّ قوّته يتعاطى الطبّ المصري والشعر العصري فيعالج بذاك الابدان ويطرب بهذا الوجدان . ومن حسناتهِ اهتمامهُ بتربية النحل . وقد عُني محمّد افندي صبحي بنشر ما لهُ من الفضل في عالم الادب، فجمع مختارات رائعة من نظمهِ تشهد لهُ بالعواطف الرقيقة والتفنن والشاعريّة الممتازة . فعسى الشاعر ان لا يعالج الّا كل موضوع شريف ومعنى راقٍ لطيف ل . ش

نزهة الأنام في محاسن الشام لابي البقاء البدري

نشرهُ نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربيّة في بغداد

طُبع في مصر في المطبعة السلفية سنة ١٣٤١ (ص ٣٩٢)

تفضّل صاحب مجلة الحريّة في بغداد رفائيل افندي بطي واهدانا نسخة من هذا

الكتاب الذي نُقل عن نسخة خطيَّة في دار السلام قابلها نبهان افندي الاعظمي بنسخة ثانية في دار الكتب المصريَّة في القاهرة. فجاءت الطبعة حسنة الضبط مشرقة الحرف على ورق صقيل. ومن هذا الكتاب نسخ أخرى اطّلعنا عليها في باريس ولندن وبرلين. ومع فوائد هذا التأليف التي لا تُنكر كنّا نؤمل من صاحبهِ معلومات أخرى تاريخيَّة وجغرافيَّة واجتماعيَّة لم نجدها فيه. وانّما اتسع في وصف اشجار دمشق واثمارها وازهارها مع ما قيل فيها من الاشعار فاستغرق الوصف ثلثي الكتاب. دون كبير جدوى

قضايا التاريخ الكبرى

تأليف محمد عبدالله المحامي

عنيت بنشرهِ ادارة الهلال بمصر ١٩٢٥ (ص ٢٦٠)

أُغرم الشرقيُّون حاضرًا باخبار الغرب لاسيما ما يدلُّ منها على شططوهم وتطرُّفهم ومن هذا القبيل كتاب للمحامي محمَّد افندي عنان دعاهُ قضايا التاريخ الكبرى او اشهر المحاكمات والجرائم في عدد ١٤ قضيَّة ممَّا جرت فيها المحاكمات وقد وجدنا في تفاصيل بعضها ما هو اقرب للقصص الخياليَّة منها للحقيقة التاريخيَّة. وفي بعضها ما يمسُّ شرف ارباب الدين المسيحي. ولو شاء الكاتب لوجد قريبًا منهُ ومن زمانهِ ما لعلَّهُ اشنع واصدق من هذه الجرائم واشهر من هذه المحاكمات مع ما لدينا عنها من المعلومات الرسميَّة الصادقة. ومن ثمَّ لا يسعنا ان نوصي بقراءة هذا الكتاب الَّا مع التحفُّظ ل. ش

الادب الجديد

نشرتهُ مجلَّة الحرّيَّة في بغداد

طُبع في المطبعة العصريَّة في بغداد (ص ١١١)

يصعب علينا تحديد ما يريده جامع هذا الكتاب بالادب الجديد. ولعلَّهُ هو الذي يدعوهُ البعض بالنثر الشعري وقد سبق صاحب مجلَّة الحرّيَّة رفائيل افندي بطي. ونشر شيئًا بهِ في الربيعيَّات الذي مرَّ لنا ذكرهُ (ص٧٩٧). وقد بيَّنَّا رأينا في هذه الادبيَّات

الحديثة التي نعدُّها كلهاة وتفكهة يُسَرّ بها القارئ ساعة فلا يجني منها ثمرة . وهي في هذا المجموع ١٦ قطعة لبعض المحدثين بينها الغثّ والسمين وتغلب فيها المخيّلة على الكلام المعقول الرزين . وقد حدَّ الفرنج المخيّلة « بمجنونة المنزل » (La folle du logis) فان اصابت مرَّةً شطَّت مرارًا

ل . ش

شذرات

﴿ ترجمة المثلّث الرحمات البطريرك ديمتريوس قاضي ﴾ قد خصّصت مجلّة المسرَّة الغرَّاء عددها تشرين الثاني باجمعهِ لذكر سيرة ومآثر الفقيد المعظم السيّد البطريرك ديمتريوس الاوَّل قاضي فاوقفتنا على حياتهِ البارَّة واعمالهِ الجليلة وفضائلهِ السامية منذ حداثة سنّهِ الى يومهِ الاخير وهو يسعى بتهدية الخواطر وتأليف القلوب متأثرًا ممَّا يحلّ بدمشق من المصائب لهيجان فريق من رعاعها ومجاراتهم لشذّاذ الدروز . فكانت وفاتهُ من جرَّاء ما اصاب نفسهُ من الحزن والالم لوقوع تلك الداهية الدهياء . ولعلَّهُ كان هو الضحيَّة التي تنسَّمها الربّ برائحة الرضى ليردّ السلام الى الوطن العزيز . فنحيل القرَّاء الى مطالعة هذه الترجمة فيجدون فيها صورة حيَّة ومثالًا كاملًا لاحد احبار الكنيسة الكاثوليكية

﴿ التذكار المئوي لمولد الكردينال دي لافيجري ﴾ أُقيمت في فرنسة وغيرها من البلاد حفلات عظيمة تذكارًا لمولد الكردينال دي لافيجري ونُشرت بهذه المناسبة تآليف ومقالات واسعة تعدّد ما لذاك الرجل الكبير من الفضل العميم على الدين عمومًا وعلى الانسانيَّة خصوصًا . ولا يسعنا نحن الشرقيين ان ننسى ما اداهُ لبلادنا من الخدم المشكورة : اولًا للبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ لمَّا قدم الى الشام وسدَّ حاجات المنكوبين بكرم لا يقوم بهِ ثناء شاكر . وثانيًا بانشائهِ مشروع المدارس الشرقيَّة التي بفضلها بلغ احداث المسيحيين ما زادهُم من الرقي والآداب . وثالثًا بتأسيسهِ لمدرسة الصلاحيَّة في القدس الشريف التي نهضت باكليروس الروم الكاثوليك وجعلتهُ اليوم بين الطوائف الشرقيَّة الممتازة . ونضرب الصفح عن خدمهِ لافريقية

السوداء بمساعيه الطيبة لفك اغلال العبيد وإبطال تلك التجارة المستقبحة بالرقيق التي كانت تسود منذ عدة اجيال وجه الانسانية. يُضاف اليها انشاؤهُ جمعيَّة الآباء البيض الذين يفلحون كرم الرب بغيرة وتفانٍ عظيمين في بلاد متعددة من افريقية فكل هذه المشروعات وغيرها ايضاً تدفعنا الى ان نحفظ في قلوبنا اسم ذلك الكردينال العظيم ونخلّد ذكرهُ الى مدى الدهر

❁ مجموعة صوَر عظماء الشرق ❁ هديّة ثمينة قدّمتهـا ادارة مجلة الهلال الغرّاء لقرّائها وضمَّنتهـا ستَّ عشر صورة كبيرة لاركان النهضة الحديثة في الشرق العربي. وكل صورة مستقلة على حدة وغاية في الاتقان ومن ورائها ترجمة حياة صاحبها مختصرة جامعة. ولا شكَّ ان عملاً مثل هذا سوف يخلّد ذكر مشاهير الاوطان كما انهُ سينهض بهمم تبعتهم ليقتدوا بآثرهم ويستحقوا ذكراً مثلهم بشرائف اعمالهم

❁ اعلام المقتطف ❁ خصّ صاحبا المقتطف عددي سبتمبر واكتوبر بجمع ما ورد في مجلّتهما من تراجم كبار العلماء ليسهل على القرّاء مراجعتها في سفر واحد يبلغ ٣٤٠ صفحة ويزينهُ صور اولئك المشاهير. فنشكر الاديبين هذه الخدمة الجليلة في سبيل العلم وان لم نتّفق معهما في اطرائهما لبعض اولئك العلماء كديدور ولامرك وفولتير

❁ اثر قديم عن دير مار مارون قرب العاصي ❁ مرَّ لنا ذكر هذا الدير في كلامنا عن شهدائه (المشرق ٢٢ [١٩٢٤]: ٥٩٨—٦٠٣). وفي مكتبة المتحف البريطاني في لندن بين مخطوطاتها السريانيَّة (عدد ٧٢٠) مجموعة خُطَّت بالقلم الاسطرنجلي تتضمَّن اعمالاً ورسائل نسكيَّة صحائفها ١٢٦ يؤخذ من صفحتها الاخيرة انَّها كتبت سنة ٨٩٢ لليونان الموافقة للسنة ٥٨١ للمسيح كتبها راهب يُدعى متى وتلميذٌ لهُ قدّم هـذا الكتاب مع كتب اخرى لدير مار مارون فنُظمت هذه المخطوطات في جملة كتب مكتبة الدير المذكور سنة ١٠٥٦ لليونان الموافقة للسنة ٧٤٥ للمسيح فيستدلّ من هذا انَّ دير مار مارون لم يزل عامراً في اواسط القرن الثامن للمسيح. وقد أُخرب بعد ذلك كما روى المسعودي في القرن العاشر في كتابهِ التنبيه والاشراف (ص ١٥٣— ١٥٤)

❁ صافو وشعرها: تهمة باطلة ❁ نشر الاستاذ عبد المسيح وزير في مجلّة الحريَّة البغداديَّة في عدد تشرين الاوَّل فصلاً في الشاعرة اليونانيَّة صافو اتَّهم فيهِ الحبر

الاعظم البابا القديس غريغوريوس السابع تهمة شنيعة سنجيب عليها في عدد قادم

❁رسالات الرهبانيَّة اليسوعيَّة في انحاء المعمور❁ بمناسبة معرض الرسالات في الفاتيكان اطَّلعنا على قائمة رسالات الرهبانية اليسوعية في جهات العالم فاذا هي تحصي المبشرين من ابنائها وعددهم حاضراً ٣٤٨٤ فيبلغون الربع من الرهبانيَّة كلها والكهنة منهم ٢٠٥٧ والباقون اساتذة او اخوة مساعدون. أمَّا البلاد التي يُعنى اليسوعيُّون بتبشيرها فهي: ١ً في اميركا: بلاد ألاسكا وكندا (بين الهنود) وجنوبي دكوتا في الولايات المتحدة وفي الجبال الصخريَّة (قبائل هنديَّة) وكذلك في براري المكسيك وفي هوندوراس البريطانيَّة وجامايكا وغويانة الانكليزيَّة وفي ولاية تكساس وفي كوبا وسان سلفادور ونيكاراغوا وپاراغوا وفنيزويلا وخط الاستواء وپيرو وبوليفية واوروغاي والبرازيل (ثلاث رسالات). ٢ً في اوربَّة: ألبانية والاستانة وسويسرة ودنيمرك وليتوانية وبودولاخية ورومانية والبشناق والصرب واليونان. ٣ً في افريقية: مصر وكونغو البلجيكي وزمبيزية وروديسية الشمالية ورسالتان في مدغسكار. ٤ً في آسية: ارمينية وسورية وبمباي وغوا ومنغلور وقاليقوط وسيلان وترنكومالي وكندي وتريشينوبولي مادوراي وپاتنه وجاوة والفيليبين وكانتون (الصين) ونانكين (فيها) وانكين (فيها) وهويس (فيها) وفي مقاطعات ووهو وسيلي الجنوبيَّة الشرقية (منها ايضاً) وياپان في هيروشيما وطوكيو. ٥ً وفي اوقيانية: جزائر كاروليِن وماريانا ومرشال واوسترالية وجزائر فيليبين. وكان في العام السابق مجموع الذين عمَّدهم اليسوعيُّون في رسالاتهم ١٩٢٠٠٤٧ بينهم في سن الرشاد ٥٠٢١٢. أمَّا الاعمال التي يباشرونها في الرسالات فهي تتناول كل اعمال الرحمة والتعليم والتهذيب منها الكلّيات والمدارس بأصنافها وتهذيب الاكليروس والمراصد الفلكيَّة واليتام والمستشفيات وعلاج المجذومين

❁قناقن المعادن❁ القناقن في اللغة العارف بوجود الماء تحت الارض. وقد عرف العرب مثل هؤلاء في جزيرتهم. وممَّا ثبت بالاختبار منذ زمن قريب وجود بعض الرجال يمكنهم الاستدلال على المعادن المطمورة تحت الارض كالذهب والفضة وغيرهما ونحن نعرف فتى اذا سار وفي يديه جرزة حديد ومرَّ فوق معدنيات دارت الجرزة من ذاتها في يديه كما تدور العصاة في يد القناقن اذا مرَّ على مياه تحت الارض

أسئلة وأجوبة

س سأل من اميركا نعوم افندي فائق هل بقي اثر من ترجمة ثاوفيل الرهاوي السريانية (الالياذة هوميروس التي ذكرها ابن العبري في تاريخهِ مختصر الدول (ص ٢٢٠)

ترجمة ثاوفيل الماروني لالياذة هوميرس في السريانية

قد نُشر في المشرق(٢ [١٨٩٩] : ٣٥٦و٤٥١) ما يُعرف عن ثاوفيل الرهاوي وعن ترجمتهِ السريانيَّة للالياذة. فانَّ غاية ما بقي منها بيتان رواهما حضرة الاباتي جبرائيل قرداحي في كتابه « الكنز الثمين» عن شعراء السريان (ص ٤٠) ولم يذكر عمَّن نقلها. وقد وجد حضرة القس اسحاق ارملة قطعاً نثريَّة مترجمة عن الالياذة او عن رحلة اوديس (Odyssée) لا تزيد عن السطر او السطرين وردت في تأليف انطون الراهب التكريتي الفصيح من كتبة القرن التاسع وفي ميامر يعقوب البرطلي (كان في القرن الثالث عشر) وفي بعض مخطوطات ابن العبري († ١٢٨٦) ل. ش

س وكتب مستفيد. انهُ قرأ في تقويم غوطا الشهير للسنة الحاليَّة (Almanach de Gotha, 1925) في الصفحة ١٠٠٢ تحت العنوان (AUTORITÉS CENTRALES (BEYROUTH:) Président. *Subbi-Bey Bercket* ثم Archev-Cath-rom: *M^gr^ Massarra* وفي الصفحة ١٠٠٤ في ذكرهِ لاصحاب الامر في بيروت يقول (سطر ٢٧) : Président du Conseil d'admin. : *Daoud bey Anmoun* (sic) فطلب ما رأينا في هذه التعليقات وما نصيبها من الصحَّة ؟

اوهام تقويم غوطا

ج غنيٌّ عن البيان اوَّلًا ان مركز صبحي بك بركات ليس في بيروت وانَّ رئاستهُ لا تتناول بيروت بل دولة سوريَّة . وثانياً ان سيادة المطران مسرَّة ليس هو رئيسَ اساقفة كاثوليكي ولا روماني بل رومي اورثذكس . وثالثاً انَّ داود بك عمُّون قد توفي في تشرين الثاني ١٩٢٢ واللجنة الاداريَّة التي يقال انهُ كان رئيسها كانت أُلغيت منذ آذار . فالرجاء من ادارة تقويم غوطا المعروفة بتدقيقها ان لا ترمي الكلام على عواهنهِ فتستقي مرَّةً أخرى معلوماتها عن ثقة م. ح

تصحيح غلط — وقع سهوًا في عنوان مقالة كريستوفان (ص ٩٠٣) انهُ « ابن» فاسكو دي غاما والصواب انهُ « اخوه »